عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد الثامن - العدد الرابع 1400 - 1979

4

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين محمد

تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد

بقلم الدكتور

عماد عبد السلام رؤوف

كلية التربية ـ جامعة بغداد

مقدمة

اذا كان البحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمدن يعد من المجالات الحديثة للدراسات التاريخية في بلادنا ، فان دراسة تاريخ « الخدمات » او المرافق المدنية ، لهي من اكثر الدراسات التاريخية حداثة ، ولعلها في الوقت نفسه ، من اشدها طرافة واهمية ، وذلك من ناحيتين ، اولاهما الصلة الوثيقة بين هذه الخدمات، وبين تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة ، لان وجود « الخدمات » يوجب ـ في احايين كثيرة ـ انشاء مؤسسات رسمية ، او غير رسمية ، تختص بادارتها ، والعناية بمرافقها .

ومن الناحية الاخرى فان دراسة هذه الخدمات تكشف ، على نحو فريد ، عن الصلة بين التاريخ الاجتماعي ، وبين التاريخ العلمي والتقني . وبمعنى آخر ، فان الخدمات هي احدى اهم المجالات الرئيسة لتطبيق المعرفة النظرية بما يخدم مصالح الشعب ويرفه عنه ويحمي بيئته ويسر له العيش في مدينته ، اذ ليست المدينة ، في احد وجوهها على الاقل ، الا المكان الذي تتوفر فيه الخدمات للناس .

ومن هنا اذن تبرز اهمية دراسة «الخدمات» ومشاكلها في مدينة كبرى ، ومركز حضاري رئيس كمدينة بغداد ، تقلبت بين عصور الازدهار والحيوية ، وعصور الانحطاط والتخلف على حد سواء . ويمكننا القول ، بهذا الصدد ، ان معظم هذه المجالات المفيدة في الدراسة التاريخية لم ياخذ مجاله من اهتمام الباحثين ، ربما بسبب ان « اعتيادية » هذه الخدمات ، لم تلفت انظار المؤرخين المعاصرين لها الا نادراً ، وفي مناسبات فريدة ، رغم ان اي من تلك « الخدمات » كان يمكن ان يسبب مشاكل غير اعتيادية لو انه توقف او اهمل ولو الى حين .

ولا نشك في ان امر مياه الشرب ، كان يعد من الامور بالغة الاهمية في حياة هذه المدينة العريقة ، ولعله كان من مشكلة من مشاكلها الدائمة عبر العصور ، فهذه المدينة التي اتسعت على نحو سريع ، منذ تاسيسها في منتصف القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد) لتغطي مساحات وسيعة من الارضين ، تربو على مساحتها الاصلية يوم تأسست بأضعاف عديدة ، وتشمل خلال مدة تقل عن قرنين ، انحاء مترامية الاطراف على جانبي نهر دجلة ، وفي اتجاهات متباعدة ، لا شك انها كانت تستهلك كميات ضخمة من مياه الشرب كل يوم ، ولا شك ـ ايضاً ـ في انها كانت تعاني من مشكلة نقل هذه المياه الى سكانها وايصالها الى دورهم ومساجدهم واسواقهم وسككهم لاستعمالها في حياتهم اليومية .

ان البحث في تاريخ مشاريع مياه الشرب في بغداد خلال عصورها المتعاقبة ، لهو امر تكتنفه صعوبات جمة ، اذ ليست ثمة اجابات كافية لما

WWW.ATTAWEEL.COM

يمكن ان يطرحه هذا البحث من اسئلة ، وقد يعجب الباحث ، اول الامر ، حينما يلحظ ان مشكلة كهذه لم تلق من المؤرخين القدامى اي اهتمام يذكر ، فعلى الرغم من الارقام الكبيرة ، والمبالغ بها جداً ، عن عدد الحمامات ببغداد في العصر العباسي ، وما تستهلكه من الصابون ، ومن يعمل في خدمتها[1] ، فاننا لم نعثر على ما يوضح السبل التي كانت متبعة في تزويد هذه الحمامات العديدة بما تحتاجه من مياه نظيفة تصلح للغسل . ومثل هذا يقال ايضا عن مساجد المدينة وربطها ومدارسها ، وكلها مما يحتاج فيه الى المياه الصالحة للوضوء والشرب .

ويزداد الأمر صعوبة ، عندما نلحظ انه لم تكن ثمة فروق واضحة بين وسائل نقل المياه المختلفة ، ولا يستطاع التمييز ـ على وجه التحديد ـ بين انواع المياه الخاصة بالشرب ، او المستعملة للغسل والاستعمال اليومي الآخر ، او المستخدمة في سقي الحدائق والبساتين والحيوان، كما ليس من اليسير ـ في اغلب الاحيان ـ التفرقة بين وسائل نقل هذه المياه ، ووسائل تصريف المياه المستعملة . فقد وصف لنا المؤرخون شبكة من الانهار الصغيرة مما كان يخترق مدينة بغداد بجانبيها الشرقي والغربي ، وينخلل الاحياء السكنية والبساتين ، ولكننا لا نعلم كم من مياه تلك الانهار كان يستخدم للشرب ، وكم منها كان يستعمل كمبزل للمياه الفائضة عن الحاجة ، او المستعملة لأن استقبال المدينة للعدد الضخم من الانهار التي تجري بين دروبها ودورها ، كان يستلزم بطبيعة الحال عدد آخر من مصارف المياه ، وبما ان احداً لم يشر الى تلك المصارف ، ومن المستبعد جداً ان تستخدم هذه الانهار للغرضين في وقت واحد . فمن الضروري للباحث اذن ان يعيد النظر في طبيعة عملها ومهمتها ، بحسب تعاقب العصور .

وعلى الرغم من ان العرب عرفوا سبل تنقية المياه من الشوائب وجعلها رائقة صافية ، عن طريق استخدام ماده « الشب »[2] ، الا اننا لم نعثر على ما يفيد باستعمال هذه المادة بشكل واسع لتنقية مياه الشرب . ونحن نميل الى ان استعمالها لبث حبيس مختبرات العلماء والاطباء للافادة منها في تجاربهم المختلفة ، دون ان تجد لها تطبيقا في مشاريع مياه الشرب العامة ، اذ ليست ثمة نصوص تدل عليه ، الا اذا استخدم ذلك في نطاق ضيق ، وفي دور بعض ذوي الشأن ، مما لم يلفت نظر المعاصرين .

ومع ان اخباراً دلت على وجود احواض كبيرة في الجانب الشرقي كانت تصب فيها فروع بعض الانهار الآخذة من الخالص[3] ، الا انه ليست ثمة ما يفهم منه ان تلك الاحواض كانت تستخدم لترسيب المياه من شوائبها ، ومن المحتمل جداً ان تكون عملية ترسيب المياه مما يجري في نطاق الدور والمحلات الخاصة ، عن طريق وضعها في « الأزيار » العادية قبل شربها ، وهي الطريقة التي لبثت معروفة ببغداد حتى فترة متأخرة .

ونحن نحسب ان مشكلة مياه الشرب ببغداد، لم تكن تتجاوز أمرين ، احدهما رفع المياه من المواضع المعومة على شاطىء دجلة ، وثانيهما نقلها بمختلف الوسائل لتجد طريقها الى سكان المدينة .

الفصل الاول

مشاريع مياه الشرب في العصر العباسي

١ ـ المدينة المدورة :

انشأ ابو جعفر المنصور مدينته المدورة على الضفة الغربية من نهر دجلة ، في الزاوية المتكونة بين مجرى الصراة غرباً ، ومجرى دجلة شمالاً ، وسماها « مدينة السلام » . وكانت حواليها مجموعة من الانهار والجداول القديمة التي تصل نهر دجلة بالفرات في اقرب نقطة يقتربان فيها من بعضهما . وكان واضحا ان من اهداف المنصور الرئيسة ، ان لم يكن اهمها ، ان تكون مدينته هذه في موقع عسكري منيع ، يسهل على سكانها الدفاع عنها[4] ، ويجعل من الصعب اقتحامها ؛ فصارت

(١) بالغ المؤرخون في عدد الحمامات ببغداد مبالغة كبيرة ، حتى قيل انها بلغت مائتي الف حمام ، الى الضعف ، وأكد بعضهم العدد الاول ، بينما قال آخرون انها مائة وثلاثون الفا ، او مائة الف ، واقل تقدير لها كان ستين الفا . انظر : هلال بن المحسن الصابي : رسوم دار الخلافة ص ١٩ تحقيق ميخائيل عواد (بغداد ١٩٦٤) والخطيب البغدادي ١١٧/١ (القاهرة ١٩٣١) .

(٢) البيروني : الصيدنة في الطب ، تحقيق محمد سعيد ورانا احسان الهي (كراتشي ١٩٧٣) ص ٢٩١ وداود الانطاكي : تذكرة اولي الالباب (بيروت د. ت) ٢٠٩/١ .

(٣) الخطيب ١١٤/١ .

(٤) لا نميل الى الاخذ بالراي القائل بان اختيار المنصور لموقع بغداد ، بين نهري دجلة والفرات للتمتع بحمايتها الطبيعية ، كان يدل على فكر ستراتيجي حصيف ، اذ سرعان ما اثبتت هذه الزبة تهافتها بعد نحو اربعين عاما ←

« المدينة المدورة » بذلك قريبة لان تكون « قلعة » او « حصنا » منها الى المدينة السكنية ، فاقيمت الابواب المحكمة العديدة ؛ وحفرت الخنادق ؛ وانشئت ثلاثة نطاقات من الاسوار ، ثم لم يكتف بذلك وحسب ؛ بل اخليت ـ بعد وقت قليل من تاريخ انشائها ـ من عامة الشعب ، وهم الباعة والتجار واصحاب الحرف ، الا القلة منهم ؛ ثم منع الدخول اليها ركوبا ؛ وحتم على الجميع ان يمشوا فيها راجلين .

وكان من الطبيعي ان تنال مشكلة نقل مياه الشرب الى المدينة الجديدة جزءا من اهتمام الخليفة المنصور وعنايته ؛ فقضية كهذه كانت عظيمة الخطورة عند مخططي المدن والحصون ابان تلك العصور ؛ لانها تتعلق بصفة مباشرة بمدى امكان ثبات المدينة او الحصن في الحصارات التي تفرض عليها في اثناء الحروب .

ويبدو ان تفكير المنصور بهذا الامر جاء متاخرا على قيامه بانشاء المدينة ؛ فقد لبث طيلة الشهور الاولى لسكناه فيها[5] لا يدري بالوسيلة التي تنقل بواسطتها المياه الى قصره ، بل يبدو ان الامر لم يستلفت نظره البتة ، تاركا له ان يسير بحسب الطرق المألوفة في عصره ؛ فكانت مياه الشرب تنقل الى قصره وسائر انحاء مدينته بواسطة سفائين يحملونها على ظهور البغال المعروفة ببغال الروايا ، وهي معباة ـ على ما كان معروفا ـ في اوان خاصة ، او « ترب » من الجلد .

واول مشروع هندسي امر به المنصور لتوفير مياه الشرب لسكان مدينته كان انشاء قناة (او قناتين) من خشب الساج ، ترفع اليها المياه من دجلة بواسطة دولاب نصب هناك . والظاهر ان هذه القناة كانت مرتفعة عن الارض بما يكفي لانحدارها التدرجي حتى تجتاز باب خراسان (وهو اقرب الابواب الى شاطىء دجلة) وتخترق المدينة حتى تصل رحبتها ، ومنها الى قصر المنصور . ولا يعلم على وجه التحديد ما اذا كان هذا الماء مخصوصا بقصره وحده ، ام انه كان يجري لغيره من دور المدينة وسككها ، كما ليس من المستطاع معرفة مدى سعة القناة من الماء . ولكن يبدو انها كانت من المتانة والاحكام بحيث استمرت قائمة تؤدي مهمتها حتى النصف الاول من القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد)[6] .

ويفهم من رواية نقلها الطبري عن يحيى بن الحسن بن عبدالخالق خال الفضل بن الربيع[7]، والخطيب عن عياش بن القاسم[8] ان انشاء المنصور لقناة الخشب الخاصة بمياه الشرب كان بعد فترة قصيرة من انتقاله الى المدينة المدورة ، وخلاصة الخبر ان عما للمنصور ، هو عيسى بن علي[9] في رواية الطبري ، وهو عبدالصمد بن علي[10] في رواية الخطيب والاول ارجح ، شكا الى المنصور كبر سنه وضعفه وصعوبة وصوله الى قصره (اي قصر المنصور المسمى بباب الذهب) ماشيا . واستأذن منه ان يسمح له بركوب بعض بغال الروايا التي تخترق الرحاب وتغذي القصر بالماء . فقال المنصور ، فيما رواه الخطيب : « يا ربيع ! بغال الروايا تصل الى رحابي ؟ فقال : نعم يا امير المؤمنين . فقال : تتخذ الساعة قني بالساج من باب خراسان حتى تجيء الى قصري ، ففعل » ويشير الطبري ، فيما نقله عن خال الفضل بن الربيع ، الى ان المنصور امر عند علمه بوصول بغال الروايا الى رحابه ، بتحويل ابواب الدور الى فصلان الطاقات ، بعد ان كانت تؤدي الى الرحاب ، لكنه لا يشير الى امره بمد قني الساج ، مع ان طبيعة الخبر تستلزمه . لعدم العلاقة بين تحويل ابواب الدور ، ووصول بغال الروايا الى الرحاب . فهذا الخبر ، على الاختلاف الطفيف في رواته واسماء

من انشاء المدينة ، ولم يكن السلاح والفكر العسكري قد تطور في هذه المدة القليلة ، ففي اثناء فتنة الامين والمأمون ، نفذ الامين خطة المنصور العسكرية بدقة ، فقطع الجسور التي تربطه بالجانب الشرقي ، وتحصن بالمدينة المدورة ، ولكن الجيش القادم بقيادة طاهر بن الحسين تجنب العبور من النواحي القريبة من المدينة ، والتف عليه بعد عبوره دجلة على جسر موقت اقامه في الشماسية اعلى بغداد ، فادت حركة الالتفاف هذه الى انهيار مقاومة جند الامين ، ولم تثبت المدينة المدورة الا قليلا اذ تهاوت بسرعة امام جيش طاهر ، وبذلك اثبت هذا الحادث تهافت فكرة الموقع المنحصن بالحواجز المائية التي انشأ المنصور على هداها مدينته .

(5) كان الفراغ من بناء بغداد ونزول المنصور بها ، ونقل الخزائن والدواوين وبيوت الاموال اليها . سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م وكان استتمامه بناء السور والخندق واحكام امر المدينة سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م . ابن الفقيه : بغداد مدينة السلام ٣٩ تحقيق د. صالح احمد العلي (بغداد ١٩٧٨) والخطيب البغدادي ٦٧/١ .

(٦) ابن الفقيه ٢٨ .

(٧) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٢٢٢/٣ (ط. ليدن) .

(٨) الخطيب ٧٨/١ .

(٩) توفي سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م .

(١٠) توفي سنة ١٨٥هـ/٨٠١م .

شخوصه ؛ يدل على ان بغال الروايا ؛ المخصصة لنقل مياه الشرب ؛ كانت تصل ـ قبل الحادثة المذكورة ـ الى قصر المنصور ، مجتازة الابواب فالفصائل فالرحبة ، وهي الساحة الكبيرة التي تتوسط المدينة ، وفيها قصر المنصور وجامعه ؛ فتروي بذلك جميع الدور في الدروب والسكك . وبينما يحدد الطبري تاريخ هذه الحادثة ، سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م ، اي بعد بضعة شهور من انتقال المنصور الى مدينته الجديدة ؛ نجد ان في رواية اخرى نقلها ابن الفقيه عن الشروي[١١] ؛ والخطيب عن ابي العيناء عن جده[١٢] ، ما يفهم منه ان ذلك جرى نحو سنة ١٥٦ او ١٥٧هـ/٧٧٢ ـ ٧٧٣م ؛ اي بعد عشر سنين من التاريخ المتقدم . وخلاصة ما ذكرا ان وفداً رومياً قدم الى بغداد في تلك الاونة ، واخبر المنصور بأن من عيوب مدينته « ان ليس لها نهر يخترقها » وانها بعيدة عن الماء « ولابد للناس من الماء لشفاههم » فما كان من المنصور الا ان عمل « لها دولاباً اجرى ماء الى القصر ، فكان يخترقها حتى يوافي القصر ، قال : هذا يقوم مقام النهر ، فلم يزل ساج ذلك النهر والدولاب يصب فيه الى ايام محمد بن عبدالله بن طاهر (توفي سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م) ثم قلع وعطل » واذ قرنت الرواية هذا الحادث بحادث آخر مهم ، هو قيام المنصور بنقل الاسواق الى الكرخ ، خارج المدينة المدورة ، اثر نصيحة اخرى مشابهة اسداها سفير الروم المذكور ، يكون انشاء هذا الدولاب وما يستتبعه في حدود سنة ١٥٦هـ او ١٥٧هـ/٧٧٢ ـ ٧٧٣م ، وهو التاريخ الذي امر فيه المنصور بنقل الاسواق بعد اضطراب حدث هناك[١٣] .

وتتفق روايات المؤرخين على جسامة هذا المشروع ، فقد نقل عن عياش بن القاسم ان المنصور امر بمد قناتين من دجلة[١٤] بينما اشار آخرون الى كونها « قنى » دون تحديد لعددها[١٥] . ووصف المنصور لها بانها تقوم مقام نهر ؛ يدل على انها كانت كبيرة ، عظيمة السعة ؛ واشار اليها بعض المؤرخين بانها كانت نهراً[١٦] .

(١١) ابن الفقيه ٣٨ .
(١٢) الخطيب ٧٨/١ .
(١٣) الطبري ٣٢٤/٣ .
(١٤) الخطيب ٧٨/١ .
(١٥) الخطيب ٧٨/١ وابن الجوزي : مناقب بغداد ١٢ (نشر محمد بهجة الاثري) وياقوت : معجم البلدان ٤٦٠/١ (ط. دار صادر ، بيروت ١٩٥٥) .
(١٦) ابن الفقيه ٢٧ .

فاذا ما رأينا ان هذا النهر كان محمولا على الخشب ، ويجرى على ارتفاع معين ، بميل محسوب الى الاسفل ؛ لمسافة لا تقل عن كيلومترين[١٧] ؛ لاحت لنا جسامة هذا المشروع ، واتقان مهندسيه في تصميمه وعمله .

بيد ان تصميم هذا المشروع وطريقة عمله ان كانت تلائم ظروف السلم ؛ فما كانت لتلائم اية ظروف غير عادية . وبخاصة حالات الحروب والحصار التي لم تكن بعيدة عن تفكير المنصور[١٨] ؛ ذلك انه من اليسير على اي جيش غاز ان يقطع هذه القنى الخشبية المرفوعة ، او ان يعطلها . فيقضي على اهل المدينة عطشاً ؛ ولعل هذا ما قصده سفير الروم حين لاحظ « ان ليس لها نهر يخترقها »[١٩] . فكان ان قام المنصور بتصميم مشروعه الآخر في مد مدينته بمياه الشرب ، فيذكر الخطيب انه مد « قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة ، وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات ، وجرهما الى مدينته في عقود وثيقة من اسفلها ، محكمة بالصاروج[٢٠] والآجر من اعلاها . وكانت كل قناة منهما تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والارباض ؛ وتجري صيفاً وشتاءً لا ينقطع ماؤها في وقت »[٢١] فهاتان القناتان كانتا مشيدتين تحت مستوى سطح الارض لا فوقها كما في المشروع الاول ؛ والظاهر انهما كانا من السعة والارتفاع ما يصلح لسير انسان ، على ما يفهم من قول المنصور « في بنائي هذا ما ان اخذني فيه الحصار خرجت خارجا منه على فرسخين »[٢٢] وعقب ابن الجوزي على ذلك بقوله « ولعله اشار الى القنوات »[٢٣] فيكون طول القناة التي قصدها نحو ١٢ كيلومتر[٢٤] .

(١٧) كان قصر المنصور يتوسط مدينته ، وبما ان قطر المدينة كان يبلغ ، في اوسط المقادير ، ميل عربي ، اي ٢ كم ، تكون المسافة بين القصر وباب خراسان نحو كيلومتر واحد ، ولا تعرف المسافة بين هذا الباب وشاطىء دجلة ، ومن المحتمل ان تكون مثل ذلك .
(١٨) الخطيب ٧٧/١ ومناقب بغداد ١٩ .
(١٩) ادمج ابن الجوزي في مناقب بغداد ١٢ خبري هذين المشروعين المتباينين ، كما نقلهما من الخطيب ، في خبر واحد ، مما اظهر ان قيامه بانشاء القناتين كان بسبب اكتشافه وصول بغال الروايا الى قصره .
(٢٠) الصاروج : النورة واخلاطها .
(٢١) الخطيب ٧٩/١ ومعجم البلدان ٤٦٠/١ .
(٢٢) الخطيب ٧٧/١ .
(٢٣) مناقب بغداد ١٩ .
(٢٤) يبلغ طول الفرسخ الواحد ٣ اميال ، وكل ميل ١٠٠٠ ←

واغلب الظن ان المقصود بنهر دجيل ، النهر المتفرع عنه المسمى بنهر بطاطيا ، او احد فروعه ؛ فقد ذكر الخطيب انه كان لهذا النهر ، اي بطاطيا ، ثلاثة فروع في عهده ا توفي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) سماها انهار الحربية ، وقال « انها قنوات تحت الارض واوائلها مكشوف » وكونها تجري تحت الارض ؛ يشير الى انها كانت تستعمل للشرب ، ولكننا لانعلم اي من هذه الانهار كان الذي مده المنصور ، وذلك لأن مفهوم « بغداد » توسع في عهد الخطيب حتى صار يشمل منطقة تبلغ اضعاف مساحة المدينة المدورة(٢٥) وتسميتها بانهار الحربية يعني انها كانت تسقي الحي الوسيع الذي عرف بهذا الاسم . وكانت الحربية «محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة بشر الحافي واحمد بن حنبل »(٢٦) اي انها كانت تقع خارج اسوار مدينة المنصور ؛ في شمالها ، حيث تلك المواضع . وليس ببعيد ان يكون نهر المنصور المذكور هو اول تلك الانهار عهداً ؛ ثم زيد عددها فيما بعد نظراً لعمران تلك النواحي .

اما القناة الاخرى الآخذة من نهر كرخايا ؛ فنرجح انها كانت تتفرع من النهر المعروف بنهر رزين ، عند باب سويقة ابي الورد ، فمن هناك « يحمل منه نهر يعبر على عَبّاره على قنطرة العتيقة ويمر الى شارع باب الكوفة ؛ فيدخل من هناك الى مدينة المنصور ، ويمر النهر من باب الكوفة الى شارع القحاطبة ثم الى باب الشام ، ويمر في شارع الجسر الى الزبيدية فينفى هناك »(٢٧) ودخول النهر من باب الكوفة ، وخروجه من باب الشام يدل على انه كان يتخذ شكل زاوية قائمة تقريباً ، ولكننا لانعلم ماإذا كان قد لبث مجراه معقوداً بالصاروج والآجر على صفته في ايام المنصور لان الخطيب لم يفرده بملاحظة خاصة بهذا الشأن ، في حين افرد انهار الحربية بملاحظته السابقة على مامر بنا .

وقد ذكر اليعقوبي ان المنصور مد لمدينته قناة تاخذ مياهها من كرخايا ، ولم يشر الى القناة الاخرى الآخذة من دجيل بشيء . ولكن يفهم من كلامه ان عمل تلك القناة كان في اثناء بناء المدينة لغرض عمل المواد اللازمة للبناء وشرب المَعْمَلة القائمين عليه . قال « وعملت القناة التي تاخذ من نهر كرخايا ، وهو النهر الاخذ من الفرات فاتقنت القناة ، واجريت الى داخل المدينة للشرب ولضرب اللبن وبل الطين »(٢٨) . ويلاحظ ان احداً من المؤرخين لم يشر الى وجود هذه القناة في داخل ارض المدينة قبل رفع قواعدها ، كما ان ملاحظة السفير الرومي بأن « ليس لها نهر يخترقها » تكشف عن عدم وجود هذا النهر حتى بعد انتقال المنصور اليها ، على ان من المحتمل جداً ان يكون مجرى هذا النهر قد استغل فيما بعد بان انشئت فيه القناة المحكمة المذكورة .

٢ ـ الجانب الغربي

اتسع العمران ، بسرعة كبيرة ، حوالي اسوار المدينة المدورة ، وازدادت كثافة السكان في الاحياء السكنية والتجارية الجديدة مما امر المنصور ببنائه ، او انشاءه غيره من الامراء والقواد وعامة الناس ، وتزايد السكن في الربض الكائن خارج المدينة المعروف بالكرخ ، بين نهر الصراة ونهر عيسى ، من انهار الجانب الغربي ، فكان ان نشأت محال جديدة هناك ، عرف بعضها بالشرقية لانها شرق الصراة ، بينما كانت المدينة المدورة في غربها . ونجد في كتب التاريخ والتراجم ، والخطط بخاصة ، اسماء اعداد كبيرة من الاحياء والسكك والاسواق والدروب مما انشىء في تلك النواحي في خلال عهد قصير ، مما دل على ان مشكلة مياه الشرب مالبثت ان ظهرت ، وبالسرعة نفسها ، لتواجه اهل تلك المواطن الجديدة .

ويظهر ان حجم هذه المشكلة لم يكن بعيداً عن تقدير المنصور ، رغم ان نهرين رئيسيين ، هما الصراة وعيسى ، كانا يأخذان من الفرات ويقطعان الجانب الغربي ليصبا في دجلة ؛ فعمد منذ اخراجه اهل الاسواق الى الكرخ ، الى حفر شبكة من الانهار الصغيرة تأخذ من هذين النهرين الكبيرين وتمر بين الدروب والاسواق ، وتسمى باسمائها وبذلك امسى لاهل الجانب الغربي نوعين من مصادر المياه ، الاول : الانهار الرئيسية القديمة التي كانت تخترق المنطقة منذ فترة تسبق فترة انشاء المدينة المدورة ؛ والثاني : الانهار الفرعية الجديدة التي استحدثها المنصور على ماتقدم .

باع ، وكل باع) اذرع شرعية (الذراع ٠٫٨٧٥م سم) فيكون طول الفرسخ حوالي ٦ كم . فالتر هنتس : المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ٩٤ (ترجمة كامل العسلي ، عمان ١٩٧٠) .

(٢٥) انظر عن مساحة بغداد في القرون التالية : ابن الفقيه ٦٠ والخطيب ١١٧/١ .

(٢٦) ياقوت : معجم البلدان ٢٢٧/٢ .

(٢٧) الخطيب ١١٣/١ .

(٢٨) اليعقوبي : البلدان ٨ (النجف ١٩٥٧) .

ويعتبر نهر عيسى اهم انهار الجانب الغربي لاروائه عددا هائلا من المحلات والسكك ، فكان يخترق احياء الجانب الغربي السكنية ، فيفضي الى محلة الزياتين (باعة الزيت) فباعة الاشنان وباعة الشوك ، فباعة الرمان . ويظهر ان مياهه ـ رغم اجتيازها كل تلك المحال ـ كانت من الاندفاع بحيث تكفي لتشغيل عدد من الارحاء ، بعدها ، حتى تصب في دجلة اسفل قصر عيسى[٢٩] .

اما نهر الصراة ، فكان يسقي مناطق زراعية في طسوج بادوريا ، قبل ان يجتاز محلات الجانب الغربي ، ويظهر ان هذه المحلات لم تكن مكتظة كالتي على نهر عيسى ، بسبب ان المنصور جعل هذا النهر فاصلاً بين التجمعات السكنية في الكرخ وبين مدينته المدورة .

وبالاضافة الى هذين النهرين القديمين ، فقد امر المنصور بجر عدة انهار صغيرة من نهر كرخايا المتفرع اصلاً من نهر عيسى ، لارواء ما تكاثر عليها من دور واسواق ، فكان منها نهر الدجاج ، ونهر القلائين ، ونهر طابق ، ونهر البزازين ، وغير ذلك ، فكان نهر كرخايا اذن يسقي اهل كرخ بغداد القديم من ناحية الجنوب، ويسقي المدينة المدورة من ناحية الشمال ، الا انه في الكرخ مكشوف بفروعه المذكورة ، على خلاف فرعه الذي كان ياخذ الماء الى المدينة المدورة فانه كان ممقوداً بالآجر والصاروج على ما ذكرنا . فليس ثمة ما يدل على ان انهار الكرخ هذه كانت تستعمل لغرض الشرب . ونحن نميل الى القول بان هذه الانهار كانت لاجل توصيل مياه الاستعمال اليومي ، من غسيل وسقي ، وربما لتصريف المياه المستعملة ايضا ، اذ ليس من المتصور ان تبقى مياه هذه الانهار نظيفة صالحة للشرب ، وهي تجري في مجار ضيقة مكشوفة لعوارض الطبيعة وتلويث السكان ، فنهر يجري بين محلات مكتظة بباعة الدجاج والزيت والاشنان والشوك والرمان والقصابين وعرهم ، من العسير التصور بانه يبقى ـ بعد ذلك كله ـ صالحاً للشرب ، ولو تخيلنا كم من فضلات هذه المهن وفاذوراتها من ريش الدجاج وبقايا الزيوت والشوك وقشور الرمان ومخلفات النحر يمكن ان يطرح في هذه الانهار ، للاح لنا ما يؤكد ما ذهبنا اليه تاكيداً تاماً . ويظهر ان مهمة هذه الشبكة من الانهار تحولت تدريجيا وخاصة في العصور العباسية الاخيرة لتمسي شبكة تصريف للمياه القذرة ، وسقي الزروع ، وتحريك الارحاء ، وتركت استعمالاتها الحيوية الاخرى . وليس من شك في ان تحول مهمة هذه الانهار على ذلك النحو كان سببا رئيسيا في ترك السكن في تلك المحلات البعيدة عن دجلة ، ومن ثم خرابها . وهكذا ، فان حفر الانهار الجديدة في الكرخ ، واستخدام القديم منها ، لم يحل مشكلة نقل مياه الشرب الى احياء الجانب الغربي ، كما فكر المنصور . ولعله لو عقد تلك الانهار بالآجر والصاروج ، كما فعل بالأنهار التي مدها الى مدينته المدورة ، لكانت قد ادت مهمتها ، وحققت الغرض من انشائها .

٣ ـ الجانب الشرقي

كان الجانب الشرقي من ارض بغداد ، يسقى قبل انشاء بغداد نفسها ، من مياه نهر الخالص ، عن طريق شبكة متقنة من الانهار القديمة تتوزع في مختلف انحائه . وعندما انشأ المهدي الرصافة ، مقابل المدينة المدورة ، من الجانب الشرقي ، حدود سنة١٥٩هـ/٧٧٦م ، اصبحت بعض فروع الانهار التي تصب هناك ، تجري في وسط « الرصافة » فتخترق شوارعها وقصورها حتى تصب في دجلة ، وكان اهم تلك الفروع نهر الفضل الاخذ من نهر الخالص ، فمنه يتفرع نهر آخر سمي بنهر المهدي يسير الى شرق الرصافة ، ثم ينقسم هناك الى فرعين صغيرين اولهما يصب في الجعفرية (شرقي الرصافة) وثانيهما ينحدر الى قصر المهدي وجامعه فيجري في بركة داخل القصر ومنها ينتهي الى دجلة[٣٠] .

وكان انساع بغداد جنوباً : وبخاصة في العبدين البوهي ثم السلجوقي ، يزيد من اهمية الانهار الآخذة من الخالص والمختصة بري تلك

---

(٢٩) الارحاء جمع رحى ، وهي طاحونة الماء ذات الدولاب الافقي ، وتعد اقدم آلة استخدمت فيها طاقة الماء . وفي اسفل محور الحركة يوجد دولاب مغمور في تيار الماء وعلى محيطه مجموعة من الفراشات ، ويرتفع المحور للاعلى مارا بحجر الطحن السفلي . ويرتبط المحور بالحجر العلوي ارتباطا وثيقا وبذلك يدور الحجر العلوي مع دوران دولاب الماء بواسطة المحور الواصل بينهما ، وهذه الدواليب المائية الافقية هي الاصل الذي تطورت منه المنفات المائية الحديثة . د. احمد يوسف الحسن : تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية (حلب ١٩٧٦) ص ٥٢ .

(٣٠) الخطيب ١/١١٤ .

الانحاء[٢١] . وعندما تم عمران الجانب الشرقي في القرنين الخامس والسادس للهجرة (١١و١٢م) وتحولت بساتينه وجنائنه الى احياء سكنية واسواق تجارية ودروب ، تحولت مهمة تلك الانهار من سقي الزروع ، الى تيسير الحياة اليومية لسكان بغداد الشرقية ، فكان نهر موسى يأخذ مياهه من نهر بين الكبير الاخذ من الخالص والماضي بمياهه حتى مصبها عند تربة كلواذى جنوب بغداد . ويصل نهر موسى الى قصر « اثربا » الذي بناه المعتضد اخارج اسوار بغداد الشرقية المتاخرة« فيدخل القصر ويدور فيه ويخرج منه » ليصل منطقة مهمة عرفت بمقسم المياه ، حيث تنقسم مياهه الى ثلاثة شعب[٢٢] ، الاول بباب سوق الدواب ، فالعلافين فيصب في نهر كان المعتضد حفره ، ويمر شيء منه الى باب سوق الغنم ثم الى خندق العباس بباب المخرم ويصب في دجلة . بينما تتفرع من نهر موسى ايضاً ثلاثة فروع صغرى كانت تصب في ثلاثة احواض بنيت في القرن الثاني للهجرة . ويمضي نهر موسى حتى قصر المعتصم ، ومنه يتفرع نهر يمر الى سوق العطش حيث ينتهي بعده في دار الوزير ابن الفرات ، ويبقى فرع آخر منه بستان الزاهر على دجلة ، ويصب ـ من ثم ـ فيه . فهذه الانهار كما يتضح لنا كانت تستخدم لسقي الزروع والجنائن اكثر من استخدامها للشرب ، كما ان سعتها من المياه لم تكن تكفي لان تصل ، في معظمها ، الى دجلة وانما كانت تنتهي في طريقها اليه ، مما دل على ضيق مجاريها وقلة مائها . ويظهر ان تجميع مياهها في احواض خاصة صناعية كما مر بنا ، كان يهدف الى تيسير استعمالها للشؤون اليومية ، ولكننا لانعلم نوع تلك الشؤون ، اهي للشرب ، ام غيره[٢٣] . وعلى اية حال فان تسمية احد الاسواق الكبيرة في هذا الجانب بسوق العطش ، يدل على ان مشكلة مياه الشرب كانت من الخطورة بحيث تعجز عن سدها فروع نهر موسى الصغيرة الواصلة الى تلك الانحاء .

وثمة فرعان آخران من فروع نهر موسى ، لها اهمية خاصة تزايدت في العصور العباسية المتأخرة، وهما نهر المعلى ، ونهر بين الدور والسكك حتى يصل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في دجلة ، ونهر آخر في اسفله مواز له تقريباً يخترق بغداد من شمالها الى جنوبها ، حيث يدور في القصر الحسني (قصر التاج فيما بعد) على دجلة ثم يصب فيها . وكان هذان النهران يأخذان مياههما من مقسم المياه اسفل قصر الثريا المذكور . وزادت خطورة هذين الفرعين بسبب تزايد كثافة السكان حواليهما وتكون الاحياء والمحلات في القسم الجنوبي من الجانب الشرقي حيث كانا يجريان (وهو القسم الذي استقرت عليه بغداد في العصور التالية) . وليست ثمة نصوص تدل على ان هذه الانهار كانت تجري في قنوات معقودة بالآجر والصاروج ، ومن المحتمل جدا ان تكون قد استخدمت في العصر العباسي الاول كمورد لمياه الشرب ، عندما كانت الارض هناك قليلة السكان ، بيد اننا نستبعد بقاءها كذلك في العصور العباسية المتاخرة ، وذلك للاسباب نفسها التي قدمناها عند حديثنا عن انهار الجانب الغربي ، فكان نهر المعلى يخترق في طريقه الى دجلة محلة باب ابرز ، وفيها احدى كبريات مقابر بغداد ، ثم قراح ظفر ، وهو بستان تحول الى محلة سكنية ، فسوق الثلاثاء ، فدرب دينار والمنطقتان الاخيرتان من اكثر المحلات ببغداد ازدحاما وكثافة في السكن ، وفيهما الاسواق والخانات والمآجر ليصب بعد ذلك في دجلة عند المدرسة المستنصرية . وكان النهر الاخر يخترق قلب بغداد الشرقية ، فيجتاز محلة المختارة ، فقراح ابن رزين ، وهو بستان كبير تحول الى محلة[٢٤] ، فالمنطقة المزدحمة حوالي دار الخلافة ، فدار الخلافة العباسية نفسها ، ليصب عند القصر الحسني ، وقصر التاج فيما بعد[٢٥] . وانهار صغيرة مكشوفة تجري وسط هذا الحشد الهائل من الاحياء والدور والاسواق ، لايمكن ان تكون مياهها صالحة للشرب ، واغلب الظن ان مهمتها لم تكن تتجاوز كونها مصارف للمياه

---

(٢١) انظر احمد سوسة ومصطفى جواد : دليل خارطة بغداد المفصل ص ١٠٦ .

(٢٢) فصل القدامى وبعض المحدثين في وصف هذه الانهار وتتبع مجاريها وما نمر به من نواح ، ولا يهمنا منها في بحثنا هذا الا ما له صلة بمشكلة مياه الشرب .

(٢٣) اشارت المصادر الى ثلاثة احواض ، هي حوض داود ، وحوض هيلانة ، وحوض الانصار ، ولكن ليست ثمة ما يدل على حجم ما تسعه من المياه ، وتدل اسماء من نسبت اليهم ، الى انها انشئت في فترة لم تتجاوز اوائل القرن الثالث للهجرة (٩م) وهي الفترة التي لم تكن هذه الانحاء قد اكتظت فيها بالسكان بعد . ومن المحتمل ان تكون هذه الاحواض نوعا من مشاريع مياه الشرب ، لكننا نجهل فائدتها وطريقة عملها على وجه التحديد .

(٢٤) انظر عن زحمة هذه المحلات وكثرتها بالقوت : معجم البلدان ، مادة قراح ، ٣١٥/٤ .

(٢٥) معجم البلدان ٢/٢ .

القذرة التي تطرحها الدور والقصور ومثلت الحمامات الموجودة هناك[٣٦] .

٤ ـ السقايات والسقاؤون :

ان تلوث مياه الانهار المخترقة مدينة بغداد ، بجانبيها الشرقي والغربي ، كان احدى اهم المشاكل التي واجهتها هذه المدينة في العصور العباسية الاخيرة ، ونحن نرى ان هذه المشكلة كانت وراء تغير حدود المساحات السكنية في خارطة بغداد ابان تلك العصور ؛ ففي الجانب الغربي ادى افتقاد ماء الشرب في الانحاء القاصية عن دجلة ، الى هجرة مستمرة من تلك الانحاء الى المحلات الشاطئية او القريبة من مجرى النهر ، فبادت محلات باب التبن واعتابيين وباب البصرة وباب الكوفة ، والنستريين والكرخ القديم وغيرها من محلات طسوجي قطربل وبادوريا الزاهرة ، ليتركز السكن في المحلات الشاطئية الجديدة ، مثل الرملة والقرية والنجمي والرقة ؛ وهي المحلات التي كونت فيما بعد الكرخ الحديث، بمحلاته المعروفة منذ العصر العثماني .

وتعرض الجانب الشرقي الى الظاهرة نفسها ، فقد تركت المحلات البعيدة عن دجلة ، كسوق العطش وسوق الدواب وغيرهما ، بينما توسعت المحال القريبة منه ، مثل المخرم وسوق الثلاثاء وسوق السلطان ودرب دينار وحريم دار الخلافة وباب الازج ، وعلى ذلك استمرت بغداد الشرقية منذ اواخر العصر العباسي ، وحتى الثلث الاول من هذا القرن .

وكان السقاؤون يقومون بسد حاجة اهل بغداد الى المياه النظيفة نسبياً ، المأخوذة من نهر دجلة مباشرة ، فكان اولئك ينقلون مياه الشرب من دجلة الى دواخل المحلات بواسطة بغال الروايا ، وكانت لهم على شاطىء دجلة مشارع مخصوصة ، تسمح لهم ـ فيما يبدو ـ باخذ الماء نظيفاً الى حد ما ، غير ملوث بما يلقيه الموج على الشاطىء من شوائب واقذار[٣٧] . وقد اشتهرت في بغداد الغربية ، منطقة على شاطىء دجلة ، قرب باب خراسان ، اسمها « مشرعة الروايا » بانها الموضع الذي ينقل منه السقاؤون الماء الى المدينة ، وكان في هذه المشرعة مسجد وحمام[٣٨] ، وفيها دفن الامام الاشعري سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م[٣٩] فنالت بذلك شهرة دامت حتى اواخر العصر العباسي[٤٠] . وعرفت في الجانب الشرقي مواضع نسبت الى اهل هذه الحرفة ، منها موضع اشتهر باسم « درب السقائين » كان قريباً من الشارع الاعظم[٤١] .

وتبارى السقاؤون في كل ما يتصل بنظافة مياههم ، وحسن عرضها ، بل عمد بعضهم الى تطييبها بالعطور الزكية ، كالمسك ؛ لتكون احسن مذاقاً واطيب طعماً . من ذلك ما نقله محمد بن عبيدالله التميمي عن ذي النون ، حين قال بمصر : من اراد المروءة والظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد . فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : لما حملت الى بغداد رمي بي على باب السلطان مقيداً ، فمر بي رجل متزر بمنديل دبيقي[٤٢] بيده كيزان خزف رقاق وزجاج مخروط ، فسالت : هذا ساقي السلطان ؟ فقيل لي : لا ، هذا ساقي العامة ، فاومات اليه : اسقني ، فتقدم وسقاني ، فشممت من الكوز رائحة مسك فقلت لمن معي : ادفع اليه ديناراً فاعطاه فابى ، وقال : لا آخذ منك شيئاً . فقلت له : لم ؟ فقال : انت اسير ، وليس من المروءة ان آخذ منك شيئاً . فقلت : كل الظرف في هذا[٤٣] !

وليست لدينا معلومات توضح ما يمكن ان تدره حرفة السقاية من مال ، الا انها كانت ـ كما يبدو ـ حرفة العوام ، او حرفة من لا حرفة له ، نظراً لعدم تطلبها خبرة معينة ، او راسمال

---

(٣٦) انتقد بعض مثقفي بغداد في القرن الرابع الهجري طبقة اهل الاسواق وارباب الحرف بانهم « يكدرون المياه » ابن عبد ربه : العقد الفريد (القاهرة ١٩٥٦) ٢٩٣/٢ .

(٣٧) ذكر ابن بسام المحتسب انه « لما كانت الامواج تجيب الاوساخ والاقذار الى الشطوط ، وجب أن يكون السقاؤون يدخلون في الماء الى ان يبعدوا عن الاوساخ ، والا يستقوا من مكان يكون قريبا من سقاية ولا مستحم ولا مجراة حمام » (نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، حققه حسام الدين السامرائي ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ٢٥) .

(٣٨) الخطيب ٢٤٦/١ .

(٣٩) الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري (تحقيق البرت كنعان ١٢٠/١ وابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ٢٢٢/٦ .

(٤٠) المنتظم ١٦٩/٨ .

(٤١) الجهشياري : الوزراء والكتاب (القاهرة ١٩٣٨) ص ٢٨٩ .

(٤٢) الدبيقي : نوع من القماش الفاخر ينسب الى « دبيق » وهي بليدة كانت بين الفرما وتنيس من اعمال مصر (معجم البلدان ٤٢٨/٢) والمنديل هنا بمعنى حزام او منطقة . انظر دوزي : المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب (ترجمة اكرم فاضل ، بغداد ١٩٧١) ص ٢٢٥ .

(٤٣) ابن الجوزي : اخبار الظراف والمتماجنين (القاهرة ١٩٧٨) ص ٢١ ومناقب بغداد ٢١ .

خاص[٤٤] . وكان السقاؤون يؤلفون صنفا من الاصناف المهمة في التنظيم الحرفي في بغداد في العصور العباسية ؛ وهم ولي خاص بهم ينتسبون اليه ، هو سلمان الكوفي ، او محمد بن عبدالله[٤٥] .

والنصوص التي توضح طبيعة اشراف الدولة ببغداد على هذا الصنف المهم غير كافية وان كان مؤلفو كتب الحسبة قد قدموا لنا معلومات ذات قيمة وبصفة عامة ، عن العلاقة بين الطرفين . فغرقوا بين صنفين رئيسيين يتصلان بمهنة السقاية ، اولهما صنف السقائين ، وثانيهما صنف القرايا ، وهم صانعو قرب السقائين والاتهم ، وبينما يوصي الفريق الاول « بنظافة ازيارهم ، وصيانتها بالاغطية ، وتغطية قربهم التي يسقون منها في الاسواق بالميازر ، ويمنعهم ان يسقوا بكيزانهم المجذم والابرص واصحاب العاهات والامراض الظاهرة ، وجلاء الكيزان النحاس كل ليلة وتطييب شبابيكها بشمع المسك واللادن[٤٦] الطيب العنبري وافتقاد الخوابي[٤٧] بالبخور والغسل كل ثلاثة ايام »[٤٨] يوصي الفريق الاخر بان « يعرف عليهم عريفا ثقة عارفا ، ويأمره ان يمنعهم ان يعملوا شيئا من هذه الاوقات والالات الحافظة للمياه التي فيها مادة الحياة الا من الجلود المدبوغة بالقرض اليماني التي قد استحكم دباغها وطال مكثها في الدباغ[٤٩] » وشرط على عريفهم ان يتفقد دكاكينهم كل وقت وهذا كله يدل على ادراك الدولة خطورة هذه الحرفة لتاثيرها الشديد على صحة الناس .

وتفيدنا كتب الفقه بأن الحصول على الماء النقي الصالح للشرب ، لم يكن ميسراً للفقراء في معظم الأحوال ؛ فقد تشدد نفر غير قليل من الفقهاء في التاكيد على ان مياه السقايات العامة هي لهم اساسا دون الأغنياء[٥٠] . مما دل على صعوبة حصول الطبقات الفقيرة على مياه الشرب عن طريق الشراء كما يفعل اهل الغنى واليسار . لذا فقد عمد الخلفاء وبعض الموسرين واهل الخير ، منذ اواخر العصر العباسي ، الى انشاء عدد من السقايات العامة في المواضع المهمة من بغداد[٥١] ، ووضع الفقهاء لهذه المنشآت المفيدة قواعد قانونية تنظم امور وقفها ، وضمان ايصال الماء لها بطريق الاجارة ، ووضع الاواني والكيزان عندها ، وضمانها اذا كسرت ، الى غير ذلك من امور[٥٢] .

وعلى الرغم من اهمية هذه المرافق الحيوية في حياة مدينة كبغداد ، فاننا لم نعثر الا على وصف القليل منها ، ويظهر ان معظمها كان يعتمد على السقائين ايضا ، يملؤون احواضها كل يوم باجر معلوم . بيد ان هذا لا ينفي اعتماد بعضها طرقا هندسية متقنة ، والأخبار القليلة التي وردت عن هذه السقايات تفيد بانها كانت تاخذ مياهها من دجلة عن طريق قنوات تحت الارض . ولكن ليست ثمة معلومات عن طريقة عملها ، والاسلوب المتبع في انشائها . وقد سبق ان ذكرنا بان قنوات المنصور كانت ، فيما رواه المصادر ، مبنية على شكل عقود وثيقة من اسفلها ، محكمة بالصاروج ؛ وان اشارات مختلفة تدل على اتباع هذه الطريقة في بناء الانفاق تحت الارض بوجه عام[٥٣] .

---

(٤٤) عرف عن بعض اهل التصوف والزهد احترافهم هذه الحرفة ، ومن مشاهيرهم الشيخ الصوفي الزاهد ابي النجيب عبدالقاهر بن عبدالله السهروردي الصديقي الشافعي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م) فقد لبث « عدة سنين يستقي بالقربة على ظهره بالاجرة ويتقوت بذلك ومن عنده من الصوفية » . السبكي : طبقات الشافعية الكبرى (القاهرة ١٣٢٤هـ) ٤/٢٥٦ .

(٤٥) ابن المعمار البغدادي : كتاب الفتوة (حققه مصطفى جواد وآخرون ، بغداد ١٩٦٠) ص ٩٢ .

(٤٦) اللادن : نبات تستخرج منه مادة ذكية الرائحة .

(٤٧) الخوابي : القرابات .

(٤٨) ابن بسام : نهاية الرتبة ٢٥ — ٢٦ .

(٤٩) نهاية الرتبة ٢٠٣ .

(٥٠) انظر محمد بن ولي القرمشهري الازميري : رسالة في شؤون السقايات ووقفها (مخطوط في المكتبة القادرية ببغداد) الورقة ٦ و ٨ .

(٥١) ذكر بعض الكتاب ان عدد سقايات بغداد بلغت في اخر العصر العباسي (١٠٢٥) سقاية من النوع المسمى « مزملات سبيل » اعتمادا على احصاء نقله الاب انستاس ماري الكرملي من كتاب الدر المكنون لياسين العمري الموصلي ونشره في مجلة المشرق (مج) (بيروت ١٩٠٨) ص ٢٠٤) واعيد نشره في دليل خارطة بغداد المفصل للدكتورين احمد سوسة ومصطفى جواد (ص ١٩٤) وعند رجوعنا الى مخطوطة الدر المكنون (نسخة باريس ٤٤٤٩) تبين ان مصدر هذا الاحصاء هو ابن الجوزي في بعض كتبه ، وانه يخص مدينة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ لا بغداد ، وان العدد الصحيح لسقايات الموصل هو ١٢٥ لا ١٠٢٥ كما تسربت اخطاء مشابهة لمفردات الاحصاء الاخرى .

(٥٢) الازميري . الورقة ٧ .

(٥٣) ومن تلك الانفاق المعروفة ، نفق كان يصل بين قصر الثريا (موقعه خارج سور بغداد الشرقية الذي انشأ بعده) وقصر التاج على شاطىء دجلة ، وبينهما مقدار ميلين على ما قدر ياقوت ، بناه المعتضد (معجم البلدان ٤/٧٧) ومن ذلك ما رواه لي السيد عبدالهادي المختار ، من انه عثر ايام كونه مديرا للمدرسة المأمونية القديمة (في ←

ومن ناحية اخرى ، فان الكرخي(٥٤) وصف ، فيما رآه من « حال العراق » طريقة توصيل المياه الى المواضع البعيدة بواسطة استخدام « البرابخ » وهي انابيب الفخار المتألفة من قطع عديدة ، توصل ببعضها بطريقة محكمة . ويبدو ان هذه الطريقة كانت اكثر اتباعا في شؤون السقايات ، نظرا لقلة كلفتها ، وسهولة مدها(٥٥) .

وتختلف اطوال هذه القنوات بحسب بعد السقاية عن شاطىء دجلة ويظهر ان انشاءها كان يجري وفق خطة هندسية وقياس دقيق لمستوى ارتفاع الارض(٥٦) حتى يكفل ذلك للماء الخروج من السقاية على هيئة نوارة متدفقة ـ على ما وصفها المؤرخون ـ ، ويزداد ادراكنا لصعوبة العمل اذا لاحظنا ان مستوى الارض ببغداد الشرقية لم يكن على ارتفاع واحد ، فهو في الجنوب يقل ارتفاعا كلما شرق مبتعدا عن شاطىء دجلة(٥٧) . وهذا يسهل مهمة مد القنوات تحت الارض او فوقها وانسياب الماء فيها الى اي بعد مطلوب . بيد ان الامر في المناطق الوسطى والشمالية من المدينة اكثر صعوبة ، حيث يزداد مستوى الارض ارتفاعا كلما اتجه شرقا (وهو امر يؤكده انسياب فرعي نهر بين الاخذ من الخالص من الشرق الى الغرب وصبهما عند قصر التاج ، والمدرسة المستنصرية) . واذ لم يصلنا خبر الطريقة الهندسية المتبعة في ايصال مياه الشرب من دجلة الى تلك المناطق المرتفعة ، فليس لنا الا ان نستدل من اوصاف سقايات بغداد في العصر العباسي ، الى ان الامر كان يجري على اساس الزيادة في علو مأخذ القناة من الدولاب الذي يمدها بالماء ، الى حد يعلو على ارتفاع الارض المنشأة فيها السقاية ، فينبثق الماء من نهاية القناة عند السقاية ، بقوة عمود الماء النازل في الطرف الاخر من القناة عند مأخذها من النهر . وهذا ما يفسر سبب ابتكار المهندسين البغداديين في العصر العباسي الاخير ، دواليب متعددة العلو ، تستطيع اصعاد الماء الى علو شاهق ، يبلغ اربعة اضعاف ما يستطيع اصعاده دولاب واحد (لاحظ ماسيأتي عن سقايةدار الخلافة) . ومن الطبيعي ان يمكن نزول الماء من هذا العلو وصوله الى اي نقطة في المدينة مهما ارتفع مستوى ارضها ، لينبثق من سقايتها باندفاع على هيئة « الفوارات » المذكوره آنفا ، على حسب قاعدة « الاواني المستطرقة » (انظر الشكل ١ و٢) وعلى اية حال ، فان وصف دواليب دار الخلافة العباسية ببغداد يقدم احتمالا قوياً بانه كانت ثمة وسائل متنوعة لرفع المياه وتوزيعها ليست معروفة لنا الآن . وفي الحقيقة فان معلوماتنا عن الوسائل الميكانيكية التي كانت تتبع في تزويد تلك المنشآت الحيوية بالماء ليست كافية لدراستها من هذه الناحية(٥٨) .

الميدان) على نفق معقود بالآجر والنورة ، عريض عال ، ظاهر الفدم ، عند حفر (بالوعة) للمدرسة ، وهو يتجه مشرقا الى موقع مدخل شارع الرشيد تقريبا . ولكن ظروف العمل المسرعة ادت الى ردم هذا الجزء منه ، فضاعت آثاره .

(٥٤) محمد بن الحسن الحاسب الكرخي : انباط المياه الخفية (حيدر آباد الدكن ١٣٥٩) ص ٢٣ .

(٥٥) ذكر الكرخي ان « البرابخ تنصب في الماء لامرين ، اما ان تكون سافية ناشئة له بعمق (كذا) الماء أو لصيانته من حلول النجاسات فيه اذا كان جريه على وجه الارض في سافية غير قصيرة ما بين العمارة » .

(٥٦) وهو ما تعرفه كتب التراث العلمي العربي بوزن الارض ، ويعرفه المساحون المحدثون بـ « التسوية » ويريدون به اعمال رصد ارتفاعات الاراضي ، وذلك بالنسبة لمستوى سطح البحر أو لنقطة معينة على الارض . وعرفه الكرخي بانه « معرفة مقدار صعود مكان على مكان بينهما بعد قليل أو كثير ، وعلم ذلك بالموازين » (انباط المياه الخفية ص ٣٥ ـ ٥١) .

(٥٧) يبلغ ارتفاع مستوى الارض عند مدخل شارع الكيلاني في السنك (قرب نهر دجلة) ٢٥٫٥ متر فوق مستوى سطح البحر ، وارتفاعه عند نهايته (عند السدة الشرقية) ٢٢٫٦ .

(٥٨) اهتم المهندسون العرب بابتكار او تطوير طرق ميكانيكية متقنة لرفع المياه بالكميات الكافية والسرعة الكبيرة ، وصمموا انواعا بارعة من الآلات الخاصة بهذه الامور ، بلغ بعضها شاوا بعيدا من الاتقان في الصنعة ، والبراعة في التصميم ، مما سجل احيانا سبقا علميا لهم في هذا المضمار ، تقدموا به علماء اوربة بشوط غير يسير ، مثل اختراعهم المضخة ذات الاسطوانتين وذات الاسطوانات الستة ، والمضخة الحلزونية . وبما ان تصميمات هذه الآلات كانت مما حفظته لنا كتب التراث العلمي العربي ، ولعل من اهمها كتاب ابن الجزري المعنون « الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل » وكتاب تقي‌الدين محمد بن معروف المعنون « الطرق السنية في الآلات الروحانية » فقد ساد الاوساط العلمية اعتقاد بان هذه الآلات المتقدمة لم تخرج من نطاق النظرية الى واقع التطبيق ، الا انه تم العثور اخيرا على آلة ما تزال في حالة جيدة تقوم برفع الماء من نهر بزيد الى المسجد والمارستان القيمري (في سفح قاسيون بدمشق) وهي مبنية على اساس بعض التصميمات المتقدمة لكتاب ابن الجزري ، فاثبت ذلك ان عبقرية المهندسين العرب لم تكن حبيسة الكتب والمعرفة النظرية حسب ، وانما وجدت لها تطبيقات عملية نافعة في الحياة العامة . وليس ببعيد ان يكون بعض تلك الآلات التي وصفها مؤلفو الكتب المذكورة ، وجد طريقه الى التنفيذ في بغداد ، وهي

←

فمن السقايات العامة التي انشئت في العصر العباسي ، نذكر :

١ ـ سقاية الراضي .

انشأ هذه السقاية الخليفة الراضي بالله (٣٢٢-٣٢٩ هـ/ ٩٣٤-٩٤٠ م) في جامع المنصور في المدينة المدورة بغربي بغداد ، ولا نعلم ما اذا كان ثمة اتصال بينها وبين تلك القنوات التي كانت تنقل الماء تحت الارض الى قصر المنصور في العهد الاول للمدينة . واول اشارة الى هذه السقاية ما جاء في حوادث غرق بغداد سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣ م . فقد ذكر ابن الجوزي ان المشرف على البيمارستان العضدي اخطر الى ان يبعث المرورين الى « سقاية الراضي بجامع المنصور »[٥٩] وآخر اشارة اليها ما جاء في ترجمة الشيخ عبد الله الرومي الحنفي سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م . قال ابن الساعي البغدادي في ترجمته « شيخ زاهد عابد منقطع في سقاية الراضي بالله بجامع المنصور»[٦٠] وهذه النصوص توحي للمرء باتساع السقاية المذكورة بحيث يمكن ان تتخذ ماوى للمرضى ومتعبداً للزهاد ، وانها استمرت قائمة بمهمتها في ارواء احد تلك الناحية مدة لا تقل عن ثلاثة قرون .

٢ ـ سقايات جامع الرصافة

كانت هذه السقايات في طريق جامع الرصافة ، في اعلا بغداد الشرقية ، اشار اليها هناك ابو الوفاء علي بن عقيل البغدادي (ت ٥١٣هـ/١١١٩م) عند وصفه احياء الجانب الشرقي من بغداد ، وما فيها من القصور والدور والدروب والاسواق : في حديث طويل ، منه قوله « ثم سوق الرصافة وجامع الرصافة ودرب الروم ، وشارع عبدالصمد ، والسقايات العجيبة في طريق الجامع ذات الاجراس الكثيرة »[٦١] . وبما اننا لا نعلم طريقة عمل هذه السقايات ، فليس بالامكان تصور وجه العجب فيها ، وليس في النص المقدم ما يفيد بتاريخ انشائها اول مرة .

٣ ـ سقايات جامع القصر

انشأ هذا الجامع الخليفة المكتفي بالله اثناء فترة حكمه (٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ/٩٠٢ ـ ٩٠٨م) فكان ثالث الجوامع ببغداد ، بعد جامع المنصور في المدينة المدورة وجامع المهدي في الرصافة . ثم تولاه بالاصلاح والتوسيع الخلفاء من بعده لاتصاله بدار الخلافة العباسية من جهة ، ووقوعه في قلب بغداد الشرقية من جهة اخرى[٦٢] .

وفي النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة (١١م) انشأ الوزير ابو نصر محمد بن جهير ، فخر الدولة[٦٣] ، سقاية في هذا الجامع « واجرى فيها الماء من داره في قنى تحت الارض ، وجعل لها فوارات فانتفع الناس بذلك منفعة عظيمة »[٦٤] . وقد ذكر المؤرخون ان دار الوزير ابن جهير كانت تقع في محلة باب المراتب[٦٥] ، في اسفل حريم دار الخلافة ، على شاطىء دجلة[٦٦] ، فيكون ماخذ هذه القنى من الشاطىء المذكور ، في موضع يبعد بما يزيد على كيلومتر واحد ، عن

حاضرة العالم الاسلامي ، ومباءة الخلافة العباسية ، الا ان زوال تلك المشاريع منذ عهود بعيدة ، وعدم تفصيل المؤرخين في شانها ، يجعل من المتعذر تصور طريقة عملها من الناحية الفنية ، وان كان من المحتمل انها من نوع السواقي (اي المضخات ذات الزناجير والدلاء) المعروفة والمنتشرة في العالم الاسلامي وهي التي تدور بواسطة الحيوانات وليس بقوة الماء (نشر د. احمد يوسف الحسن الفصل الخاص بالآلات المائية من كتاب ابن الجزري في مجلة تاريخ العلوم العربية التي يصدرها معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ، مجلد ١ عدد ١ (ايار ١٩٧٧) ص ٢٠ ـ ٤٠ ونشر كتاب تقي الدين مع دراسة تحليلية بعنوان تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية ، حلب ، ١٩٧٦) .

(٥٩) المنتظم ٢٤٥/١٠ .

(٦٠) الجامع المختصر في عيون التواريخ واعين السير ج ٩ (بتحقيق مصطفى جواد بغداد ١٩٣٤) ص ٢٤٥ .

(٦١) مناقب بغداد ص ٢٦ ولا ندري اية علاقة بين السقايات والاجراس ، ولعل ذلك من قبيل الطرق التي شرحها تقي الدين في كتابه «الطرق السنية في الالات الروحانية» عند وصفه مجموعة من « الفوارات » المائية ، ذات «صميمات تصدر اصوات « الزمر الدائم والنفارات » (تقي الدين : مصدر سبقت الاشارة اليه ، الباب الرابع ص ٣٩ ـ ٤٨) .

(٦٢) عماد عبدالسلام رؤوف : جامع الخلفاء قديما وحديثا . مجلة الرسالة الاسلامية ٧٠/٢ ـ ٧٨ .

(٦٣) تولى الوزارة للقائم والمقتدي في السنوات ٤٥٠ و ٤٥٤ و ٤٦٠ ـ ٤٦٧هـ . زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة (القاهرة ١٩٥١) ص ٩ .

(٦٤) المنتظم ٣/٩ .

(٦٥) وموقع هذه المحلة اليوم في ارض شريعة السنك وحواليها.

(٦٦) استملكت هذه الدار السيدة بنفشا حظية المستضيء بامر الله (٥٦٦ ـ ٥٧٥) المتوفاة سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م ، ثم حولتها لتكون مدرسة للحنابلة ، وافتتحتها سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م ، وكان اول من تولى التدريس بها ابو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) انظر : كتابنا مدارس بغداد في العصر العباسي (بغداد ١٩٦٦) ص ١٨٤ ـ ١٩٠ .

مصبها في الجامع ، والظاهر أن مدها لتصل شاطىء دجلة مباشرة ؛ في اقرب مسافة بين الجامع والشاطىء على خط مستقيم ، كان يعد من الامور المتعذرة او العسيرة ؛ بسبب وقوع قصور دار الخلافة في هذه المنطقة ، واشغالها طراز دجلة الشرقي ، فلم يكن بالامكان اذن مد هذه القنى الا من منطقة اقل ازدحاما في السكن ، هي باب المراتب ، حيث تنتهي قصور الخلافة ومرافقها .

ولقد استمرت هذه السقاية تؤدي عملها زمنا طويلا على الرغم من موقعها البعيد عن مصدر مياهها ، وطول القنوات التي تمدها بالمياه من دجلة ، فوصف الرحّالة ابن جبير هذا المشروع المهم بعد نحو قرن من الزمن بقوله « جامع الخليفة[٦٧] متصل بداره[٦٨] ، وهو جامع كبير وفيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة كاملة مرافق الوضوء والطهور »[٦٩] .

وفي سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م امر الخليفة المستنصر بالله بانشاء سقاية اخرى في جامع القصر ، وكانت هذه السقاية الجديدة تأخذ مياهها من حباب تملأ بالماء في مواعيد منتظمة ؛ والظاهر ان قنوات الوزير ابن جبير الارضية لم تعد تكفي لايصال مياه الشرب والوضوء والغسل للجامع المذكور ؛ فاستعين بهذا المشروع الجديد لسد الحاجة المتزايدة . قال صاحب كتاب الحوادث في حوادث السنة المذكورة « وفي آخر شعبان ، انتهى من عمارة باب جامع القصر مما يلي الرحبة ، وفتح ، وفتحت المزملة[٧٠] التي عملت بالجامع المذكور ايضا »[٧١] .

يتضح لنا مما تقدم ان جامع القصر احتوى لأهميته على عدة سقايات كبيرة ، لا سقاية واحدة ، وان بعض تلك السقايات كان يأخذ مياهه من دجلة بطرق هندسية ، والبعض الآخر يأخذها بالطرق الاعتيادية . وقد لاحظ الرحالة المغربي ابن بطوطة ذلك عند زيارته بغداد سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م فقال « وبهذه الجهة الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة احدها جامع الخليفة ، وهو المتصل بقصور الخلفاء ودورهم ، وهو جامع كبير فيه سقايات ، ومطاهر كثيرة للوضوء والغسل »[٧٢] .

٤ ـ سقاية دار الخلافة

من المشاريع الهندسية البديعة التي شهدتها بغداد في اواخر القرن السادس للهجرة (١٢م) ، انشاتها السيدة بنفشا بنت عبدالله الرومية حظية الخليفة المستضيء (توفيت سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م) . وكانت تاخذ مياهها بطريقة فريدة ، لم يرد ما يشبهها في غيرها من السقايات المختلفة، وقد وصف ابن الساعي البغدادي هذا المشروع بانه « اربعة دواليب ، تستقي الماء من دجلة الى دار الخلافة المعظمة ، كل واحد منها اعلى من الآخر ، فياخذ الاول من دجلة ، والثاني من الأول ، والثالث من الثاني ، والرابع من الثالث »[٧٣] وقد بحثنا في كتب الآلات المائية ، على ما ينطبق عليه هذا الوصف ، فلم نعثر على بغيتنا ، وانشاء مثل هذا المشروع يستلزم بناء دار عالية ذات اربعة طوابق ، في كل منها دولاب يدور . ولا نعلم وجها لايصال الماء الى هذا الارتفاع الشاهق ، سوى الاستفادة القصوى من ضغط الماء النازل لاحداث فوارات عالية (شاذروانات) وايصال المياه الى مواضع مختلفة من دار الخلافة العباسية ، على ما اشرنا اليه من قبل (انظر الشكل ١ و ٢) .

٥ ـ سقاية تربة احمد بن حنبل بالجانب الغربي

انشا هذه السقاية سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م الخليفة المستنصر بالله ، اظهارا لتأييده لمذهب الحنابلة الذي كان يميل اليه[٧٤] . ويفهم مما ذكره صاحب كتاب الحوادث ان اخذ السقاية للماء اعتمد على طريقة السقائين ، لا على حفر القنوات

---

(٦٧) تسمية جامع القصر بجامع الخليفة متاخرة نسبيا ، وفي العصور الاخيرة شاعت تسميته بجامع الخلفاء ، ثم عرف بين العامة باسم جامع سوق الغزل حتى ازالته عند فتح شارع الجمهورية سنة ١٩٥٧ ، وقد قامت « الاوقاف » اخيرا بانشاء مسجد جامع كبير حوالي مئذنته القديمة (وهي كل ما تبقى منه) واطلقت عليه اسم « جامع الخلفاء » .

(٦٨) يريد بدار الخلافة العباسية وفيها قصور الخلفاء .

(٦٩) رحلة ابن جبير (بغداد ١٣٥٦هـ) ص ١٨٢ .

(٧٠) انظر ما تقدم عن معنى هذا اللفظ .

(٧١) كتاب الحوادث المسمى بالحوادث الجامعة (تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١هـ) ص ١٠٢ .

(٧٢) رحلة ابن بطوطة (القاهرة ١٩٢٨) ١/١٤٢ .

(٧٣) ابن الساعي : جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء (تحقيق مصطفى جواد ، القاهرة) ص ١٢٦ .

(٧٤) دفن احمد بن حنبل في مقبرة باب حرب ، وهي من اشهر مقابر بغداد في العصور العباسية ، وكان موقعها في خارج عمارة البلد ، الى الشمال من مقابر قريش (الكاظمية) وقد زال قبر ابن حنبل نتيجة لتحويل نهر دجلة مجراه .

او رفعها ، قال في حوادث السنة المذكورة(٧٥) « وفيها امر الخليفة بعمل مزملة عند قبر الامام احمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ لأجل الزوار والواردين فلما تكامل بناؤها فتحت ، وجعل فيها الحباب وملئت من الجلاب . ورتب فيها قيّم يقوم بمصالحها ، ونظم الشعراء في ذلك قصائد ، منها ما قاله جعفر بن مهدويه الكاتب من قصيدة يمدح بها الخليفة :

وقبر احمد قد طرز
بحلية زينت منه مبانيه
ثم اتخذت لنا فيه مزملة
تدل انك يوم الحوض ساقيه
فاسلم فدتك الرعايا يا امام الهدى
تهدى الى الحق من فل في الثيه »

٦ ـ سقاية المدرسة المستنصرية

احتوت المدرسة المستنصرية منذ افتتاحها سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م على سقاية تزود طلبتها ومدرسيها والقائمين عليها وغيرهم بمياه الشرب والوضوء ، وكان لهذه السقاية موظف خاص ، يسمى « مزملاتي » نسبة الى « المزملة » وهي حباب الماء المخصصة للشرب . فقد ورد في شروط الخليفة المستنصر على مدرسته ، انه شرط ان يكون فيها « مزملاتي » ، وقرر له ما لغيره من الجرايات والمشاهرة(٧٦)(٧٧) .

ويفهم مما جاء في ترجمة ابن الحشاش ، انه كان للمزملاتي هذا مظهراً يوحي بالهيبة ، وان راتبه كان يبلغ خمسة دنانير كل شهر . حكى شمس الدين الجزري انه « دخل بغداد ، ودخل المستنصرية ، فشرب من المزملة ، فلما فرغ ، قال للذي فيها ، وكان عليه بزة : حاشاكم ، أو ما هذا معناه . فقال شخص : لا تقل له هكذا ، هذا له خمسة دنانير على سقي الناس ، أو ما هذا معناه »(٨٧) .

(٧٥) الحوادث ص ٩١ .
(٧٦) ابن الساعي : التاريخ المرتب على السنين (في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مجلد ٤ ج ١ ص ٢) ، ١٩٢٤) .
(٧٧) الجرايـة : ما يجـرى على ارباب الوظائف من المواد العينية ، كالخبز والسمن وغيره ، والمشاهرة راتبهم الشهري .
(٧٨) التقي الفاسي : منتخب المختار من تاريخ ابن رافع السلامي المذيل به على تاريخ ابن النجار (نشره عباس العزاوي ، بغداد ١٩٣٨) ص ٢١٣ .

وفي سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م انشأ صاحب ديوان العراق علاء الدين عطا ملك الجويني(٧٩) مشروعه الكبير لتزويد المدرسة المستنصرية والمنطقة المجاورة بمياه الشرب . فكان المشروع يتألف من دولاب على شاطىء دجلة المجاور ، يصب الماء في قناة محكمة ، مبنية تحت الارض ؛ فتزود القناة مزملة المدرسة ، ثم بركة صنعت في وسطها ، ثم تخرج من المدرسة لتمد بمائها مزملة اخرى عملت تجاه ايوان الساعات (وهي مائية ايضا) التابع لمدرسة الطب ، مقابل بابها الرئيس(٨٠) . قال صاحب كتاب الحوادث ، في احداث السنة المذكورة « تقدم علاء الدين صاحب الديوان بعمل دولاب تحت مناة المدرسة المستنصرية يقبض الماء من دجلة ويرمي الى مزملتها ، ثم يجرى تحت الارض الى بركة عملت في صحن المدرسة ، ثم يخرج منها الى مزملة عملت تجاه ايوان الساعات خارج المدرسة ؛ وجدد تطبيق صحنها ، وتبنيد حيطانها »(٨١) .

وبما ان انشاء هذا المشروع كان تالياً لانشاء المدرسة ذاتها ، فمن غير المتصور انه غير في تصميمها العام . والظاهر لنا ان مهندسي الجويني عمدوا الى مد القنوات من خلال المواضع التي يمكن نقبها والتغيير فيها ، لذا فمن الراجح ان تكون القنوات قد اجتازت احد بابي المدرسة المطلين على ضفة النهر ، الواقعين في مسجدها ، فزودت المزملة الاولى هناك ، ثم قطعت صحن المدرسة ، بخط مستقيم ، لتمد البركة في وسطه ، ومنها خرجت من تحت باب المدرسة الرئيس ، الى المزملة الثانية ، وذلك لاستحالة مد اية قناة من تحت مباني المدرسة الضخمة فيما عدا المواضع المذكورة . ويلاحظ ايضا ان وجود البركة ، والمزملتين ، وجريان الماء فيها على الدوام ، يوجب وجود قناة اخرى لتصريف المياه الفائضة ، ولكن النصوص لا تكشف لنا شيئا عن هذا الامر .

(٧٩) حكم العراق ، بعد وفاة ابن العلقمي الوزير السابق ، من سنة ٦٥٧ الى ٦٨١هـ/١٢٥٧ ـ ١٢٨٢ . عماد عبدالسلام رؤوف : حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانيين مجلة المؤرخ العربي (يصدرها اتحاد المؤرخين العرب) العدد ١١ ص ٦٠ .
(٨٠) اي في سوق الهرج الحالي ، عند جامع القبلانية . وكنا قد اثبتنا بان هذا الجامع ورث ارض مدرسة الطب والايوان التابع لها في مجلة الرسالة الاسلامية (بغداد ، تصدرها وزارة الاوقاف) الاعداد ٢٣ و ٢٨ ـ ٢٩ و ٣٤ (سنة ١٩٧١) و ٤٤ (سنة ١٩٧٢) .
(٨١) الحوادث ص ٣٦٥ .

الفصل الثاني

مشاريع مياه الشرب في العصر العثماني

١ ـ مشكلة مياه الشرب

توالى احتلال القبائل الغازية لبغداد منذ سقوطها الاول على يد المغول سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ، وتقلبت بايدي دول قبلية متخلفة مدة تزيد على ثلاثة قرون حتى دكت معالمها الحضارية، وتعرضت الحياة فيها الى خطر التخريب والتدمير ، وهجرها الكثير من اهلها ، بينما قضت النكبات على قسم غير قليل منهم . وكان من نتائج هذه الاوضاع ، ان سرعت عملية انكماش المساحة المسكونة من بغداد ، وهي العملية التي بدأت بعض ملامحها تظهر منذ اواخر العصور العباسية، فانحصر السكن داخل اسوار الجانب الشرقي على ما استقرت عليه في اخر القرن الخامس للهجرة (١١م) . ثم استمرت عملية الانكماش السكني ، كمظهر من مظاهر الانكماش الحضاري العام ، فخلت اماكن وسيعة داخل الاسوار ذاتها ، كانت قد وصفت بانها محلات مكتظة شبيهة بالمدن المستقلة . وتحولت محلات مثل باب الازج وباب المراتب والبصلية وقطيعة العجم والريان وغيرها، الى صحراء قاحلة لا نبت فيها ولا ماء ، وكانت الانهار التي وصفناها فيما سبق ، قد اهملت تدريجياً ، حتى اندثرت تماما في خلال القرنين الثامن والتاسع (١٤ و ١٥م) ففقدت بغداد بذلك ما كان يحيط بها من نبات وخضرة ، وبخاصة في الاقسام المحصورة بين سورها الشرقي والمناطق السكنية ، وهي الاقسام التي كان يسقيها نهر بين الآخذ من الخالص بفروعه العديدة في العصور السابقة ، مما ادى الى ازدياد تجمع السكان في المحلات القريبة من دجلة ، والى ان تتخذ مشكلة نقل مياه الشرب ـ من ثم ـ شكلاً آخر يقوم على اساس التغير الجديد .

ومن الجدير بالملاحظة اننا لم نعد نسمع في هذا العصر ما يشير الى انشاء قنوات محكمة تحت الارض توصل مياه الشرب الى السقايات العامة ، بل اننا لا نعلم الفترة التي استمرت فيها هذه المشاريع قائمة بمهمتها ، فقد انطوت اخبار المشاريع المذكورة بانقضاء صفحة العصر العباسي نفسه . واقرب الى الاحتمال ان بغداد اكتفت في الفترة السابقة على العصر العثماني ، بما يحمله اليوا السقاؤون من مياه دجلة في « قِرَبِهِمْ » ؛ ولا شك انه كانت هناك سقايات عامة موزعة في ارجاء المدينة يملؤها السقاؤون لتبقى في خدمة السكان بقية اليوم . بيد ان معلوماتنا لا تكفي لتصور مدى نجاح هذه السقايات في سد حاجة اولئك السكان من مياه الشرب فضلاً عن توفير مياه الاستعمال. ومن الراجح ان تكون الآبار قد اتخذت مورداً للنوع الاخير من المياه .

ولقد شهدت بغداد ، منذ استقرار الحكم العثماني فيها في بدايات القرن الحادي عشر للهجرة (١٧م) ، تطوراً ملموساً في تصميم مشاريع دائمة لنقل مياه الشرب ، تعتمد على انشاء قنوات محكمة ، مرفوعة على عقود عالية مبنية بالآجر والنورة واخلاطها ، ويرفع الماء اليها بواسطة الدواليب ، فتجري المياه في القنوات المطلية بطبقة من القار ، مجتازة بذلك الدروب والمحال ، بانحدار محسوب ، حتى تصل الى المواضع المهمة ، او الاكثر ازدحاماً في السكن ، فتتفرع منها في قنوات اخرى لتصب في السقايات المنبثة هناك ، بينما تحمل القناة الرئيسة الفائض من الماء الى مناطق بعيدة نسبياً ، لتغذي بعض السقايات في تلك النواحي ، وليغني ما يتبقى في الاراضي القاحلة حواليها . وهذا النوع من مشاريع مياه الشرب يذكرنا بمشروع قنوات الساج الذي اقامه المنصور لمد مدينته بالمياه من نهر دجلة ، الا ان المشاريع العثمانية تميزت بثباتها ودوام عملها ، وهي في الواقع لم تكن الا تقليداً لامثالها من المشاريع التي انشاها العثمانيون في بعض المدن الكبيرة ، متاثرين بعمارة القنوات البيزنطية العالية التي كانت تزود مدن الاناضول بالماء منذ عهود قديمة (انظر الشكل ٤) .

بيد ان استخدام هذا النوع من السقايات ، لم يقض على النوع الآخر الذي يعتمد على انشاء احواض كبيرة ، او حباب ، تملأ بالماء كل يوم بواسطة سقائين لهم اجر معلوم . فقد ميز الفقهاء العثمانيون بين هذين النوعين ، فاعتبروا النوع الاول من المشاريع الخيرية العامة ، الموقوفة لنفع الجميع بلا ادنى تمييز ، ويظهر انهم اعتبروا حكمها كحكم العيون الطبيعية المسماة « چشمة ». اما النوع الآخر ، فانهم سمحوا بوضع بعض الشروط عليه ، كتخصيص مائه للفقراء بالدرجة الاولى[٨٢] ، وترتيب قيم مسؤول عن ادارته ،

(٨٢) يذكر محمد بن ولي الازميري (ت ١١٦٥هـ/١٧٥١م) ان « الماء مشترى بغلات الاوقاف المعينة له » ويتقيد بطريق الاجارة ويعطى الاجرة من تلك الغلات ، لذا فلا يستوى ←

يأخذ راتبـــه من غلة الوقف ؛ وما انى ذلك من أمور[٨٣] .

ويذكر الرحالة محمد ظلي المعروف باوليا چلبي الذي قدم بغـــداد سنة ١٠٥٨هـ/١٦٤٨م وسنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م انه كان فيها نحو مائـة سقاية يسميها « سبيل » ومائتي « چشمة » من النوع الذي يملؤه السقاؤون بقربهم من النهر[٨٤]. هـذا في حين اعتبر الافشهري[٨٥] السبيل (او السبيل خانـــة) ما يملأ بالقـرب بالأجـــرة ، و « الچشمة » عيون الماء النضاحة ، ويقرب منها ما تحمله القنوات من مياه دافقة متصلة تصب في سقايات عامة .

ويستفاد مما ذكره اوليا چلبي ايضـا ، ان صعوبات جمة كانت تكتنف عمـــل السقائين في نقل المياه من النهر ، الى درجة ان حاجة المدينـة لم تكن تسدها الا ميـــاه الآبار التي يقـــدرها بـ (٦٠٠٠) بئر . ونحن نعتقد بأن وجه الصعوبـة التي اشار اليها اوليا چلبي هو ان شواطىء بغداد في عهده كانت مغلقة في وجـــه السقائين الا من مكان واحد فحسب ، قرب الميدان ، اشار اليـه هو ، اما سائر الشواطىء فكانت مسورة بســور عال ليس له من باب سوى باب الجسر . وقـــد وردت صورة هذا السور في صورة بغـــداد التي رسمها نصـــوح السلاحي المطراقي سنة ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م ؛ وخارطة بغداد من عمل تافرنييه ســنة ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م[٨٦] ، ومنها يظهر انـه لم تكن لبغداد مشارع على دجلة ؛ ولعل هذا هو ما دفع حكام المدينة الاوائل الى مد القنوات على عقـــود الآجر لتزود سقاياتها الداخلية . ويؤكد هـــذا القول أن دواليب هذه القنوات لم تكن تأخذ مياهها من دجلة راسأ ؛ وانما من آبار عميقة حفـــرت خصيصا بها . ويدل بئر قناة الشيخ عبدالقـادر الكيلاني ؛ وهو آخر ما بقي من هذه الآبار ، على ان مواقع الآبار كانت بعيدة عن دجلة بمسافـــة كافية لاقامة الاسوار والحصـــون[٨٧] . واذ بقيت هذه الاسوار قائمة الى نهاية القرن الثاني عشر على اقل تقدير ؛ فان بامكاننا ان نتصور بقاء مشكلـة ايجاد موارد كافية لمياه الشرب ، عـدا الابـار ، حتى ذلك التاريخ ؛ حتى ان عـــدداً من السياح الذين اقاموا ببغداد او مروا بها ، نوهوا بهـــذه المشكلة ؛ ووصفوا متاعب البغداديين في الحصول على ماء الشرب . فاشار الرحالـة الايطالي الآب فنشنسو (Vincenzo) الذي زار بغـــداد سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م الى ان الماء الذي يباع ببغداد ؛ يأتي ملوثاً بالقار ــ وان كان لا ضـــرر في هـــذا التلوث ــ ووصف طريقة جلبه الى المدينة ؛ بانه كان ينقل على ظهور الثيران والجياد ، في قـــرب كبيرة من الجلد[٨٨] . والمعروف ان جلب الماء الى المنازل بالقرب المدبوغة لا يؤدي الى ما لاحظه من تلوث الماء بالقار ، فالظاهر ان الماء الذي شربه كان من مياه السقايات العامة التي تبطن مجاريهـــا واحواضها بطبقة كثيفة من القـــار لحفظهـا من انضباع ، وليس من مياه القرب المحمولـــة على الطريقة التي وصفها . ولم ينتبه سائح آخر هو البريطاني جاكسون في رحلته الى بغداد ســـنة ١١٨١هـ/١٧٦٧م الى وجود قنوات عامة لنقـــل الماء في المدينة ، وانما اشار الى ان كثيراً من الفقراء كانوا يستخدمون لنقل الماء من النهر في ظروف من الجلد يحملها البعض منهم على ظهورهم ؛ بينمـا يحملها البعض الآخر على الحمير والبغـال[٨٩] . ومثل ذلك ما وصفه الرحالة البريطاني بكنكهـام (Buckingham) عند قدومه الى بغداد ســـنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦م حيث ذكر ان المدينة تزود بمياه الشرب من نهر دجلة في قرب من جلود المعز تنقل على ظهور الدواب وتصل باب منزل كل عائلة ؛ اذ ان وسائل نقل الماء ؛ والصهاريج والاحواض غير معروفة فيها[٩٠] .

الغني والفقير بالانتفاع به ، والقول بان الغلة تصـــرف على مصارف المتولي وعمارة السقاية لا الماء في صحيح ، كيف ولا يحمل الماء الى السقاية مجانا بل بثمن او اجرة يعطى من الغلة » . رسالة في شؤون السقايات ووقفها (مخطوط) الورقة ٨ وانظر عبدالرحمن بن شيخ محمد : مجمع الانهر في شرح ملتقى الابحر (الطبعة العثمانيـــة ١٣٠٥) ص ٢٤٦ .

(٨٣) ومن تلك الشروط انه يصب فيها الماء بالجرة للشرب او الوضوء ، ولا يجوز استعمال مائها لغيرها ، ويكون لها قصاع وكيزان .

(٨٤) اوليا چلبي سياحتنامـــسي استانبـــول ١٣١٤هـ) ٤٠/٤ .

(٨٥) رسالة في شؤون السقايات ووقفها الورقة ٨ (مخطوط).

(٨٦) انظر اطلس بغداد للدكتور احمد سوسة (بغداد ١٩٥٢) ص ١٢ و ١٣ .

(٨٧) انظر ما سيأتي عن هذه السقاية . والشكل (١) .

(٨٨) رحلة فنشنسو الى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمة بطرس حداد ، مجلـة المورد العـــدد ٢ ، المجلد ٥ (بغداد ١٩٧٦) ص ٧٧ .

(٨٩) مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٦٧٦ ، ترجمة سليم طه التكريتي ص ٧٥ .

(٩٠) بكنكهام : رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦ ، ترجمة سليم طه التكريتي (بغداد ١٩٦٨) ٢٠٦/١ .

ونظراً لما كان يكتنف عملية نقل مياه الشرب من صعوبات ، وما يكلفه شراءها من مال ، فقد نالت شؤون السقايات العامة ببغداد اهتمام الولاة وارباب الدولة والاعيان واهل الخير ، وشارك عدد من السيدات المحسنات بانشاء جملة من السقايات المهمة . ووقف الجميع عليها الوقوف الدارة بموجب وقفيات وحجج شرعية رسمية ، وثبت بعضهم عدد العاملين على خدمة السقاية ، وحدد رواتبهم بدقة . وصار للسقائين الذين ينقلون الماء الى السقاية راتب معلوم . واحتاط بعض الواقفين فحدد عدد « قرب » الماء التي يحملها السقاء كل يوم ، فنص والي بغداد داود باشا على ان تكون عشر قرب يومياً ، لقاء راتب قدره ٣٦٠ قرشاً ، وجعلت السيدة نازندة خاتون لسقايتها ١٨٠٠ قرشاً رائجا (٤٥٠ قرشاً صاغاً) بينما حدد نقيب الاشراف سليمان القادري راتب من يقوم بخدمة سقايته بـ ٤٥ قرشاً صاغاً كل شهر .

ومثلما اهتم اولئك الموسرين بالانفاق على هذه المشاريع الحيوية ، فقد تفنن المهندسون والنقاشون في تصميم عماراتها ، وتزيينها بالالواح الرخام المنقوش والقاشاني الملون وبشبابيك النحاس الفاخر ، وسجلت على معظم السقايات ، بخطوط بديعة ، آيات قرانية ، وابيات شعرية تؤرخ انشاءها ، وتذكر اسم صاحبها احياناً ، وزاد آخرون بان اقاموا حولها حدائق صغيرة ، وزرعوا فيها اشجاراً تظلل الشاربين .

فكان من نتائج هذا الاهتمام ان زاد عدد السقايات العامة التي يملؤها السقاؤون بسرعة منذ مطلع القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) الى الحد الذي اصبح انشاؤها ظاهرة من الظواهر الاجتماعية في المدينة ، وامتدت خدماتها لتشمل محلات عديدة من بغداد[٩١] .

اما القنوات الآجرية المرفوعة على العقود ، فقد توصلنا الى ثلاثة مشاريع منها ، وهي تغطي مساحة كبيرة من بغداد الشرقية ، لكننا لا نقطع بعدم وجود غيرها في اجزاء اخرى من المدينة . ويرتقي انشاء هذه المشاريع الى عهود مختلفة من القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة (١٧ و ١٨م) . اما السقايات الآخذة منها فهي عديدة ومتنوعة ، وفيما يأتي من البحث عرض تفصيلي عن هذه المشاريع .

(٩١) انظر الخارطة .

٢ ـ قنوات المياه المرفوعة

سافية (قناة) الشيخ عبدالقادر الكيلاني .

ليس من المحدد تاريخ انشائها ، واول اشارة الى وجودها كانت سنة ١٠١٢هـ/١٦٠٤م ، حين وصفها الرحالة البرتغالي بيدرو تكسيرا Pedro Texeira اثناء زيارته بغداد . قال واصفاً جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، وان لم يسمه ، انه واقع في طرف المدينة عند بساتين النخيل ، وان الماء ينقل اليه من فوق قناطر خاصة ، على نمط بديع[٩٢] .

واشار اليها السائح الدانمركي نيبور C. Niebuhr عند قدومه بغداد سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م ، وذلك في اثناء وصفه التكية القادرية . قال « ولتكيته واردات مالية ووقفية تفوت اكثر من ثلثمائة انسان ، ولاكثرهم فيها حجر وغرف يسكنونها بالمجان ، ولها كرد (دولاب) يساق ماؤه اليها من دجلة في ساقية »[٩٣] .

كما اشار اليها سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م الكوماندر فيلكس جونز F. Jones فذكر ان من عقود محلة راس الساقية « عقد الساقية » وعد من معالم محلة «باب الشيخ» ، قهوة « المزملة »[٩٤] على انه لم يشر اليها في خريطته التي رسمها ، وكولنكوود ، لمدينة بغداد ، وان كان رسم الدرب الذي تجري فيه .

بلغ طول هذه القناة ما يزيد على كيلومتر . وتبدأ من شاطىء دجلة في محلة السنك ، قرب قصر السيد عبدالرحمن الكيلاني نقيب الاشراف الاسبق (بستان محمد اكريبوز) ثم تمتد فوق جدار عال يبلغ ارتفاعه ٢٫٣٠ متراً عند حديقة (بقجة) كان قد وقفها محمد بن جواد اوطه باشي سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م ، ومن هناك تنعطف فتمر على عقد كان فوق باب حديقة عبدالجبار غلام ، وتمضي مشرفة في شارع الكيلاني ، فتمر الطريق الذاهب الى الباب الشرقي عند جامع النعماني على عقد ، ثم تجتاز الطريق الذاهب الى مرقد انخلاني على عقد آخر ، وتمضي فتمر الدرب المتجه الى محلة الصدرية ، عند مسجد راس الساقية ،

(٩٢) Texeira, P. : The Travels of Pedro Texeira, P. 64 (London 1902).

(٩٣) بغداد في رحلة نيبور ، ترجمة د. مصطفى جواد (مجلة سومر المجلد ٢٠ الجزء ١ ـ ٢ (بغداد ١٩٦٤) ص ٥٢

(٩٤) Jones, F.: Selections from the record of Bombay Government., P. 327.

والدرب الواقع قرب حوض سقايتها : على عقود مشابهة . وتنتهي عند جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ؛ حيث تملأ حوض سقايته بالماء المخصص للشرب . وقد عرفت هذه السقاية بـ (المزملة البرانية) نوقوعها خارج اسوار الجامع لا داخله[٩٥] ، كما سميت المنطقة التي في غرب محلة باب الشيخ ، بمحلة (راس الساقية) نسبة اليها ؛ وما تزال تعرف بهذا الاسم[٩٦] .

وكان مأخذ هذه القناة من دولاب يرفع الماء من بئر عميقة واسعة عند شاطىء النهر ؛ وما تزال هذه البئر موجودة الى يومنا هذا ؛ وعندها آخر بقايا القناة المذكورة .

والظاهر ان هذه السقاية بقيت على وضعها القديم دونما تغيير حتى سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م ، وهي سنة تولى علي رضا باشا اللاز ولاية بغداد ؛ فقد ذكر السيد محمود شكري الآلوسي ان هذا الوالي امر بانشاء سقاية في جوار جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ؛ وصفها بانها « غزيرة الماء ، كثيرة الارواء » وقال انه اجرى اليها جدولاً من نهر دجلة واوقف عليها عقاراً لتبقى على مر الأيام وتعاقب الاعوام[٩٧] . ونحن نرجح ان تكون هذه السقاية هي نفسها سقاية الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، وانما قام علي باشا اللاز بتجديدها ، او اضافة اشياء اليها . وليس ببعيد ان يكون تجديد القناة وترميمها هو ما دفع السيد الآلوسي الى ذلك القول ؛ مستنداً الى ما كان مدوناً على رخامة السقاية من ابيات ؛ مع ان البيت الخامس منها يدل صراحة على انها جددت ، لا انشئت انشاءً ، وفيما يأتي هذه الابيات :

لله ساقية قد شاد مبناها
والي العراقين اقصاها وادناها
اعني علي رضا بل حيدري وغى
سميه لجميع الناس مولاها
من ماء دجلة اجرى سلسبيل ندى
يروي العطاش من الرمضاء اصفاها
وانساب بها كعبة للائذين بها
لقد صفا زمزم الجدوى ومرواها
تطوعاً واحتساباً من فواضله
تجددت وسمت اركانه علياها
فيا لها نية لله خالصة
تفتر عن شنب الحسن ثناياها
صح القبول جرى فوراً فأرخه
« تجرى فينبوع بسم الله مجراها »
١٢٤٧

ونظراً لأهمية جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ومدرسته ، وسعة محلته ؛ وكثافة السكن في تلك الناحية ؛ فقد حظيت هذه القناة وسقايتها بعناية فائقة . وأوكل امر التولية على اوقافها والانفاق على مصالحها من تجديد وصيانة انسادة نقباء الاشراف ومتولو الاوقاف القادرية ؛ وذلك بموجب الحجج الشرعية التي كان يصدرها ولاة بغداد ؛ وتحتوي كل حجة ـ عادة ـ على وصايا بشأن وجوب الاهتمام بالقناة والعناية بمرافقها[٩٨] .

وقد وصفت السقاية في مطلع هذا القرن بانها بناية كبيرة لها حوض ؛ وفيه ثلاث حنفيات وامام الحوض طارمة ذات ثلاثة اطواق متصلة على شكل ثلاثة اضلاع مثمن[٩٩]

وفي حدود سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م قام احد الأغنياء الهنود بتثبيت انبوب حديد في داخل قناة الآجر ، ورفع العقود القديمة التي كانت القناة تجتاز عليها الدروب والطرق الجانبية ، ووضع بدلا منها انابيب . فكان الانبوب ينزل الى الارض عمودياً ، حيث يتصل بانبوب افقي مدفون تحت الارض باستقامة الساقية ، ثم يتصل بانبوب آخر

---

(٩٥) كان موقعها عند الزاوية الجنوبية من مقبرة الجامع .

(٩٦) عماد عبدالسلام رؤوف : متى تم اول مشروع لاسالة الماء في بغداد . جريدة التاخي البغدادية بتاريخ ١٩٦٨/٨/١٢ .

(٩٧) محمود شكري الآلوسي : مساجد بغداد ص ٦٠ (مخطوطة المتحف العراقي المرقمة ١٠٦٤) وقد نشر السيد محمد بهجة الاثري هذا الكتاب ، بتغييرات رآها ، تحت عنوان « مساجد بغداد وآثارها » (بغداد ١٣٤٦) واشرنا ، في هذا البحث ، الى المخطوط .

(٩٨) انظر مثلا الوثيقة الشرعية المتضمنة توليه السيد محمود افندي بن زكريا القادري على ساقية الماء العائدة لجامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني (سجل المحكمة الشرعية ببغداد ، عدد ١٥٨ ص ٥٩ بالتركية) ونذكر ان والي بغداد سليمان باشا الصغير اصدر بيوراولدي (امر رسمي) سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م يقضي بتسليم التولية الى السيد حبيب سنه بك ، وذلك لتدهور العلاقات بينه وبين متوليها السابق السيد رمضان القادري ، وبقي الوضع كذلك حتى استعادها السيد محمود الكيلاني سنة ١٢٢٣هـ/١٨١٧م باعتبار ان القناة المذكورة موضوعة اصلا لخدمة جامع الشيخ عبدالقادر ، وبما انه يتولى اوقافه فمن الاولى والارجح ان يتولى ساقيته ايضا .

(٩٩) محمد رؤوف الشيخلي : المعجم الجغرافي لمدينة بغداد (البصرة ١٩٧٧) ص ١٤٢ .

عموديا ، فيربط بالانبوب الذي في الساقية من الجهة الاخرى

وفي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ألغي العمل بالدولاب ، واستعيض عنه بمضخة حديثة وقام السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب الاشراف برفع قناة الماء تماما(١٠٠) ، ومدت الانابيب المعدنية تحت الارض ، بخط مستقيم ، الى جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني . وعند فتح جادة خليل باشا (الشارع العام، ثم شارع الرشيد كما سمي فيما بعد) زمن ولاية خليل باشا سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٥م قضى على آثار القناة المرفوعة ، فادخل جدارها وقسم قليل من حديقة اوطه باشي (المقدم ذكرها) في الشارع المذكور . ولم يبق من آثارها سوى ذلك الجزء الواقع عند البئر الشاطئية . وهو ـ على الحقيقة ـ آخر ما تبقى من آثار قنوات مياه الشرب القديمة ببغداد كلها (انظر الشكل ٧).

تبعد البئر عن شاطىء دجلة بأكثر من عشرين مترا ، وكان جزء من هذه المسافة مشغولاً بسور بغداد وحصونه المطلة على دجلة ؛ ثم شغل في بداية القرن الحالي بقصر السيد عبدالرحمن الكيلاني(١٠١) . وكانت مساة السور لم تزل مرئية عند هذا القصر عندما رسم جونز وكولنكوود خارطة بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)(١٠٢) .

تتخذ البئر شكلاً بيضويا يبلغ محيطه ١٦٫٨٧ مترا ، واطول قطريه ٤٫٩٢ مترا ، واقصرهما ٣ امتار . وهي مورة بور من الآجر عرضه ٣٥ سنتمترا ، تعلوه حافة عرضها ٤٥ سنتمترا . ويرتفع السور عن الارض بـ (١٢٫١) مترا ؛ ويبلغ عمق البئر حاليا من حافة سورها ٢٫٥٥ مترا . ومن المعتقد ان عمقها الاصلي كان يزيد على ذلك باربعة امتار اخرى على الاقل . ويزين الجدار الداخلي للبئر (بعمق ٢٫٦٠ مترا) زخرفة بقطع الآجر مرتبة عموديا (يعرفها البناؤون المحليون باسم سكة) تعلوها زخرفة بالآجر ايضا بارزة وغائرة على شكل خمسة متوازيات اضلاع متجاورة (ويعرفها البناؤون المحليون باسم بقلاوة) انظر الشكل (٦) .

ويتصل بحافة البئر من ناحية الجنوب الشرقي (بشكل يوازي مجرى نهر دجلة) بناء متين من الآجر والجص ، كان قد ثبت في اعلاه دولاب الدلاء . وهو يتخذ شكلاً هندسيا غير منتظم (الشكل ٥) . ويبلغ ارتفاع هذا البناء ٢٫٣٠ مترا ، ويتخذ عند البئر هيئة قوس يتمم الشكل البيضوي لها . وكانت على سطحه اسكلة من الخشب مهمتها استقبال المياه المرفوعة اليها بالدولاب . ثم يضيق عرض البناء بعد مسافة ٢٫٣٠ مترا ليصبح عرضه مترا واحدا ، بطول قدره ٢٫٨٢ مترا . وكان على هذا الجزء مجرى يأخذ الماء من الدولاب ويصبه في الحوض التالي الذي يتصل به .

ويتألف هذا الحوض شكلاً هندسيا غير منتظم الزوايا . كانت مهمته تجميع المياه الآتية من المجرى المذكور ، لتصب بعده في قناة الشيخ عبدالقادر الممتدة الى جامعه . وقد بطنت ارضية المجرى والحوض والقناة بطبقة كثيفة من القار ، يبلغ ثخنها نحو ستة او سبعة سنتمترات ، وذلك منعا من تسرب الماء اثناء جريانه وضياعه بددا(١٠٣) . (الصورة رقم ٥) .

يعمل الدولاب (الكرد) بقوة الدواب ، حيث تدور الدابة محركة ذراعا قد ثبتت نهايتها بمحور راسي ، وبدوران هذا المحور يدور مسنن افقي ثبت في اعلاه ، وينقل المسنن الافقي العلوي المذكور الحركة الى مسنن راسي يتصل به محور افقي ، وينقل الاخير الحركة الى دولاب الدلاء فيرفع الماء بذلك الى القناة (انظر الشكل ٣) .

ويختلف اسلوب عمل هذا الدولاب عن الدواليب العادية الاخرى الموجودة على شواطىء الانهار بان في مقدوره رفع المياه راسا الى ما يزيد على المترين فوق مستوى سطح الارض ، في حين ترفع الدواليب الاخرى الماء الى سطح الارض نحسب . ومنشا هذا الاختلاف ان المسنن الراسي المحرك لمحور دولاب الدلاء ، يعلو على المسنن الافقي بخلاف الدواليب الاخرى ، التي يكون المسنن الراسي فيها في الاسفل . وهذا الوضع يفسح المجال

(١٠٠) وقد تبرع لغرض اذابة القار اللازم في القناة المرفوعة بالف اوقية من الحطب ، ثم تبعه السيدان غياث الدين آل جميل وداود الكيلاني ، فتبرعا بمبلغ خمسمائة اوقية ايضا ، على ما نشرت الغبر في حينها جريدة الزوراء وتناقلته جريدة صدى بابل البغدادية الصادرة في ١١ ذي القعدة سنة ١٣٢٨هـ .

(١٠١) من القصور الفخمة ، البديعة المنظر ، ببغداد . وقد قامت المؤسسة العامة للسياحة اخيرا بترميمه ، واعادته الى وضعه القديم ايام كونه عامرا .

(١٠٢) انظر اطلس بغداد ص ١٥ .

(١٠٣) قامت المؤسسة العامة للسياحة بترميمه ترميما حسنا ، ورفع ما كان في داخل بئره من انقاض .

للمحور الأفقي ان ينقل الحركة الى دولاب الدلاء بالارتفاع نفسه ؛ دون ان يشكل عائقاً لدوران الدابة تحته (الشكل ٢) .

ويمكن القول ــ بناء على ما تقدم ــ ان هذا التصميم هو الذي كان متبعاً في جميع الدواليب التي ترفع مياه الآبار الى قنوات عالية ؛ كساقية الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، ومنها قناة الشيخ عمر السهروردي ، وقناة الشيخ سراج الدين الآتي ذكرهما .

ساقية (قناة) الشيخ عمر السهروردي

انشأ هذه القناة والي بغداد الوزير حسين باشا السلاحدار (محرم ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م ــ ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م) ووقف عليها الاوقاف الكثيرة لادامتها والعناية بمرافقها . منها سوقا كبيرة انشاها عند باب المدرسة المستنصرية ، وعقارات اخرى اشتراها ، منها دكاكين متفرقة في جانبي بغداد ، ومقهى كان يعرف بقهوة مراد ، وبستانا قرب مرقد الشيخ عمر السهروردي(١٠٤) فكانت تلك الاوقاف سبباً في استمرار عمل المشروع مدة تقرب من ثلاثة قرون(١٠٥) .

وكانت هذه القناة تأخذ مياهها بواسطة دولاب يرفع الماء من بئر عميقة عند شاطىء دجلة ، في شريعة الميدان ، بين مبنى المتحف العسكري السابق ، ونادي الضباط الحالي ، ثم تمتد من هناك مرفوعة على عقود عالية بنيت بالآجر والجص على ضفة قناة الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، حتى تصل الى منطقة « الميدان » قرب جامع الاحمدية ؛ فتجتازه مشرّقة في درب طويل تقع عليه معظم محلات القسم الشمالي من بغداد الشرقية ، فتمد بمياه الشرب محلة الصابونجية ، ثم محلة ايلان دلي ، فمحلة الفضل ، والجلالي ، ثم تمتد باستقامة حتى تصل الى غربي جامع الفضل ، فتجتاز الدرب الذي يقع عليه فوق عقود(١٠٦) وتمضي مخترقة محلة خان لاوند ، ثم تتجه بي ارض قاحلة حتى تصل الى جامع الشيخ عمر السهروردي ؛ حيث تصب هناك في سقايتين كبيرتين ، ويجرى الفائض من مائها ليسقي بستان السلاحدار الموقوفة عليها ، ترفيها للمارة في تلك النواحي النائية الموحشة(١٠٧) .

استمرت هذه القناة البديعة بأداء مهمتها حتى النصف الثاني من القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) فقد وردت في خارطة بغداد التي رسمها الكوماندر فيلكس جونز وكولنكود سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م على نحو يظهر امتدادها الى جامع الشيخ السهروردي . وذكر جونز ان من عقود محلة « ايلان دلي » عقداً سماه « عقد الساقية »(١٠٨) .

ولقد تعطلت اجزاء من هذه القناة في عهد والي بغداد نامق باشا الكبير (من ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م الى ١٢٦٨هـ/١٨٥١م)(١٠٩) : وهي الأجزاء التي تصل بين محلة خان لاوند ، وبين جامع عمر السهروردي . أما الاجزاء الباقية ، فقد بقيت سليمة تؤدي مهمتها في نقل مياه الشرب الى المحلات السكنية . ولم تندثر تلك الاجزاء او تتعطل الا في عهد والي بغداد مدحت باشا (١٢٨٦ ــ ١٢٨٩هـ/ ١٨٦٨ ــ ١٨٧٢م) .

ويبدو ان تخرب هذه الاجزاء من القناة ، هو ما دفع ببعض اعيان بغداد واهل الخير منهم الى انشاء عدة سقايات جديدة تأخذ مياهها من الاجزاء السليمة الباقية منها ، وقد وقفنا على ثلاثة من تلك السقايات ، تقع الاولى في « الميدان » والثانية في محلة « الباروردية » اما الثالثة فتقع في محلة « خان لاوند » الى الشرق من محلة الفضل . فكانت هذه السقايات تشكل بمجموعها مشروعاً واسعاً ــ نسبياً ــ لايصال مياه الشرب الى محلات بغداد في تلك الجهات . ويلاحظ ان تواريخ انشاء السقايات المذكورة كانت ترقى الى عهود مختلفة . كما يتضح لنا من تتبع أخبارها .

---

(١٠٤) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط) .

(١٠٥) حكم هذا الوالي سنتين فقط ، وقام خلالهما بمشاريع كبيرة ذكرها مرتضى نظمي زاده في كتابه كلشن خلفا (ترجمة موسى كاظم نورس ، بغداد ١٩٧١) ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨ ومن غير المتصور ان تكون هذه الاوقاف كلها من ماله الخاص ، وانما هو قد اشتراها من واردات الولاية ، وربما من الجزء المخصص لارساله الى الدولة (وغالبا ما يجرى هذا بعلم الدولة فهذا المشروع وغيره من الاعمال الكبيرة التي يقوم بها الولاة ، هي في الحقيقة اعمال حكومية عامة ، وان ظهرت بمظهر الاعمال الخيرية لافراد.

(١٠٦) في ارض شارع الكفاح اليوم .

(١٠٧) عماد عبدالسلام رؤوف : سقاية الشيخ عمر السهروردي . جريدة الناخي البغدادية بتاريخ ١٩٦٨/٩/٢٢ .

(١٠٨) Jones, F. : Op. Cit., P. 320. واعيد نشر الخارطة ، في « اطلس بغداد » من وضع الدكتور أحمد سوسة (بغداد ١٩٥٢) ص ١٥ .

(١٠٩) على ما افادنيه الشيخ كمال الدين امام جامع عمر السهروردي عن ابيه الشيخ عبدالمحسن السهروردي ، في صيف سنة ١٩٦٥ .

أ ـ سقاية شوكت بك

انشاها دفتردار بغداد شوكت بك سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م في « الميدان » الى الشرق قليلاً من جامع الاحمدية (مدخل شارع الرشيد حالياً) ولكنها لم تلبث ان عطلت بعد مضي عهد قصير من انشائها ، ثم قام حفيد مؤسسها قدرت بك بن عصمت بك ، بتعمير سقاية جده سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م ، وكان يومذاك مديراً للاموال الاجنبية ، فطلب من المهندس الفرنسي گودار Godard ان يصمم بناءها على هيئة بديعة ، ففعل ، واجرى لها الماء من تلك القناة ، وبلغت كلفة المشروع كله (١٠٨) ليرات عثمانية(١١٠) .

وكان للسقاية واجهتان ، على الاولى منهما ابيات عربية ، وعلى الاخرى ابيات فارسية وتركية، وكلها مكتوبة على الآجر القاشاني ، وتحيط بالكتابة صور لاغصان مورقة ، وثمار ملونة ، ونقوش . اما الابيات فهي هذه(١١١) :

ناظر اوقاف العراق الفتى
شريف رب الحسب الطاهر
في البلدة الزوراء قضى نحبه
وفاز بالغفران من غافر
فخر الباري له صاحباً
كان له في الزمن الغابر
محمد شوكت اقلامه
تغنى عن الذابل والباتر
انشأ له هذا السبيل الذي
أبيح للوارد والصادر
اصفى من الدمع على فقده
ما قد جرى ارخ من الناظر
١٢٧٢

وانشئت حوالي السقاية حديقة نزهة غناء ، دامت امداً من الدهر ، ثم اندثرت عند فتح جادة خليل باشا (شارع الرشيد الحالي) قبيل الاحتلال البريطاني لبغداد(١١٢) (انظر الصورة رقم ١) .

ويبدو ان لهذه السقاية اوقاف ، اوقفها مؤسسها الاول شوكت بك ، فقد جاء في ترجمة الشيخ محمد الامين بن الشيخ عبدالرحمن السهروردي (ت ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) انه كان « متولياً على أوقاف سبيل خانت (كذا) شوكت بك »(١١٣) .

ب ـ سقاية البارودية

لا يعلم تاريخ انشائها ، اذ لم تكن على جدرها وشباكها شيء من الكتابات الدالة على ذلك ، وكان موقعها في محلة البارودية ، في موضع مطل على شارع الفضل ، متصل بقناة الشيخ عمر السهروردي . ووصفها بعض من عاصرها بانها كانت تتألف من طابقين ، على اسفلهما شبابيك من نحاس ، على هيئة منبنة بديعة ، وفي داخلها حباب كبيرة تملأ بمياه الشرب . وبعد انقطاع تزويدها بالماء من الساقية المذكورة ، اصبحت تملأ كل يوم بواسطة السقائين .

جـ ـ سقاية سري باشا

انشاها والي بغداد سري باشا (١٢٠٧ ـ ١٢٠٨هـ/١٨٨٩ ـ ١٨٩٠م) على انقاض مبنى خان لاوند العتيق ، وجعل ما حولها بستاناً غرس فيه انواع الشجر . وصمم السقاية على هيئة حوض كبير من الرخام المنبن ، ووضع في وسطه نافورة تقذف الماء في الهواء .

وقد اطرى العلامة عبدالوهاب النائب (ت ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) هذا المشروع الخيري بقصيدة ، منها قوله(١١٤) :

هذي العدالة لا عدمتك منصفاً
تسقى العطاش اذا اتوك نميرها
ان التفوس لمثل ذاك ترتجي
لتكون في زمن الاياس بشيرها

ولما انتقل المشروع الى البلدية لادارته ، اصابه الاهمال، فتلفت منشآته، وصارت حفرة من الحفر ، واخيراً اشترى العلامة عبدالوهاب النائب ارضه وقسمها الى دور وحوانيت وخانات ، منها المدرسة التي عرفت بالحميدية وهي اليوم مدرسة الفضل الابتدائية .

وبهذا انتهى تاريخ آخر سقاية من سقايات هذا المشروع الكبير ، بعد ان لبث يزود اهل بغداد بحاجتهم من مياه الشرب نحو ثلاثة قرون .

---

(١١٠) وهم الاستاذ يعقوب سركيس في امر هذه السقاية ، وسقاية الشيخ عمر السهروردي نفسها ، وحقيقة القناة الموصلة بينهما ، والآخذة من دجلة ، فقال في مجلة البيان النجفية (عدد ١٥ شباط ١٩٤٦) « هل يمكن ان تكون سقاية في الميدان لمدرسة في جامع السهروردي والمسافة بينهما لا تقل عن كيلومترين ؟ »

(١١١) مجلة لغة العرب ٢ (بغداد ١٩١٢) ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(١١٢) رسمها السيد رشيد الخوجة في خارطة بغداد التي وضعها سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٨م (انظر احمد سوسة : اطلس بغداد ص ١٦) .

(١١٣) محمد صالح السهروردي : لب الالباب (بغداد ١٩٣٢) ٢٥٩/٢ .

(١١٤) لب الالباب ٢٤/١ـ٢٥ .

سقاية (قناة) الشيخ سراج الدين

انشاها والي بغداد الوزير حسن باشا (١١١٦ ـ ١١٣٦هـ/١٧٠٤ ـ ١٧٢٣م) عند تعميره جامع الشيخ سراج الدين في محلة الصدرية (جزء من محلة سراج الدين حاليا) سنة ١١٣١هـ/ ١٧١٨م ، وذلك لمد الجامع والأسواق المزدحمة حوله بمياه الشرب[١١٥] .

ولقد اتبع في تصميم هذه القناة ، وضع قناة الشيخ عبدالقادر وطريقة عملها . فكانت تاخذ مياهها من دولاب عند شاطىء دجلة ، في شريعة السيد سلطان علي ، وتمتد من هناك الى شارع السيد سلطان علي ، فتدخل يميناً في الدرب المعروف بطرف حاج فتحي ، وتخرج منه لتجتاز محلات السويدان والعوينة والصدرية ، حتى تصل الى سقاية الشيخ سراج الدين[١١٦] ، فتزودها بالماء ، اي انها كانت تبلغ طولاً قدره نحو ٧٠٠ متر تقريباً .

تقع سقاية الشيخ سراج الدين في الجهة المقابلة للجامع من جهة الشمال ، وكان فوق شباكها لوح من الرخام والحجر القاشاني ، عليه ابيات لامية تؤرخ لهذا العمل النافع ، منها[١١٧] :

أجريت للناس سبيلاً لهم
فيه سبيل الخير في كل حال
قد نزل الناس بساحاته
واجتذبوا الماء بدون الحبال
للشرب والطهر ورفع الاذى
حباك ربي نعمة لا تزال
هذا الذي فيه ينال الرضا
في عطش المحشر يوم السؤال
الله قد يسر تاريخه
اجرى لنا الكوثر ماء زلال

١١٣١

قال السيد محمود شكري الآلوسي في وصفه هذه القناة « واوصل ايضا (يريد : حسن باشا) الى هذا المسجد ساقية من ماء دجلة . وانشأ سقاية يشرب منها المار وابن السبيل[١١٨] . وذكرها الشيخ عباس بن رجب البغدادي بصفتها « سقايات » لا واحدة[١١٩] ، مما دل على سعتها ووفرة مياهها .

وكانت تتشعب من القناة ، فروع تزود سقايات اخرى ، موزعة على طول مجراها ، وقفنا منها على :

ا ـ سقاية الشيخ عبدالكريم الجيلي

لا يعلم تاريخ انشائها ، وكانت عند جامع الشيخ عبدالكريم الجيلي[١٢٠] ، في الدرب المسمى بطرف الحاج فتحي[١٢١] ، المتفرع من شارع السيد سلطان علي . وزالت هذه السقاية عند نقض الجامع المذكور قبل سنين .

ب ـ سقاية الحاج فتحي

لا يعلم تاريخ انشائها ايضا[١٢٢] ، ولعلها ترقى الى عهد سقاية الشيخ عبدالكريم الجيلي المتقدمة لتقارب الموضعين ، وكانت تقع في جامع الحاج فتحي ، في آخر الدرب المنسوب اليه .

ولقد استمرت هذه القناة بالعمل ، حتى استبدلت ، في مطلع القرن الحالي ، بانابيب معدنية دفنت تحت الارض ، ثم زالت سقاياتها تدريجيا، او انقطع ماؤها ، بعد انتشار استخدام الانابيب الحديثة في تلك الناحية من بغداد .

---

(١١٥) قال الرحالة الدمشقي ، مصطفى بن كمال الدين الصديقي البكري ،عند قدومه بغداد سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م « ولما وصلت جامع الشيخ سراج الدين ـ قدس الله سره المتين ـ الذي بناه المرحوم حسن باشا .. وقفت لدى الشباك ، والاسواق في اشتباك » (كشف الصدا وفسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان الورقة ٢٣ مخطوط) .

(١١٦) اشار السيد محمد رؤوف الشيخلي الى جزء من هذه القناة، وهو الواصل من دجلة الى جامع الحاج فتحي ، ولكنه خلط بينها وبين سقاية الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، حين ظن انها تمضي من هناك الى جامع الشيخ الكيلاني فتزود سقايته بالماء . والصواب انها تنتهي الى جامع سراج الدين اما سقاية الشيخ الكيلاني فلها قناة مستقلة غيرها على ما قدمنا (الدليل الجغرافي لمدينة بغداد ص ٥٧ و ١٤١) .

(١١٧) مساجد بغداد ص ٥٨ (مخطوط) .

(١١٨) مساجد بغداد ص ٥٦ .

(١١٩) نيل المراد في احوال العراق وبغداد (نشرنا بعض فصوله في مجلة الرسالة الاسلامية) العدد ١١٧ـ١١٨ (بغداد ١٩٧٨) ص ٤٧ .

(١٢٠) مسجد عامر قديم ، فيه قبر الشيخ عبدالكريم بن ابراهيم الجيلي (ت ٨٣٢ هـ) .

(١٢١) رقم بابه ١٩٧ وبعد نقضه لبث سنين ساحة خالية ، الا من القبر ، ثم قامت الاوقاف ببناء مدرسة في ارضه ، تحولت الى مدرسة ثانوية للبنات ، ومايزال القبر قائما .

(١٢٢) جامع قديم كان يطل على شارع الجمهورية ، ينسب الى احد صلحاء الموصليين وقد انشاه سنة١١٦٩هـ/١٧٥٥م . وكنا قد شاهدناه وقرانا ماعليه من كتابات اثرية قبل نحو عشر سنوات ، الا انه هدم وازيلت انقاضه ، ومنها تلك الكتابات ، وهو اليوم ساحة خالية .

٢ ـ السقايات العامة

سقاية حسب‌الله الشابندر[١٢٣]

اشار اليها اوليا چلبي في رحلته الى بغداد سنة ١٠٥٨هـ/١٦٧٤م وسنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م ؛ وذكر ان لمؤسسها حسب‌الله قصراً عده بين قصور المدينة البارزة ، وحماماً عاماً ذكره في موضع آخر من رحلته[١٢٤] .

سقاية ابي بكر خواجه

اشار اليها اوليا چلبي ، وعد مؤسسها من اعيان بغداد في ايامه ، اي في تضاعيف القرن الحادي عشر للهجرة (١٧م)[١٢٥] .

سقاية سميز موسى باشا

انشأها والي بغداد موسى باشا الملقب بـ « سميز » اي السمين (١٠٥٧هـ/١٦٤٧م ـ ١٠٥٨هـ/١٦٤٨م)[١٢٦] واشار اليها اوليا چلبي في رحلته[١٢٧] .

سقاية حسين باشا

اشار اليها اوليا چلبي في رحلته ، ولعل منشؤها والي بغداد حسين باشا (١٠٦٠ ـ ١٠٦١هـ/١٦٥٠م) .

سقاية مراد باشا

انشأها والي بغداد مراد باشا (٩٧٧ ـ ٩٧٨هـ/١٥٧٠ ـ ١٥٧١م) عند جامعه المعروف بالمرادية ، في محلة الميدان ، قبالة قلعة بغداد (وزارة الدفاع حالياً) . اشار اليها اوليا چلبي في رحلته .

سقاية حيدر چلبي الشابندر

انشأها حيدر چلبي شابندر التجار في بغداد في القرن الحادي عشر للهجرة ، وكان من اعيان بغداد وسراتها[١٢٨] ؛ وهو صاحب الحمام الشهير باسم « حمام حيدر » في شارع النهر ، اشار الى ذلك اوليا چلبي في رحلته ، وذكر ان له قصراً ايضا .

سقاية آل مدلج

انشأها الشيخ مدلج الصغير بن الشيخ ظاهر ابن الشيخ احمد الرحبي ، مفتي بغداد ، والمدرس في جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني (توفي سنة ١٠٨١هـ/١٦٧٠م) والحقها بمسجد ابتناه باتصال الشارع الذي يمر على مرقد الخلاني ، قرب زاوية النعيدروسي ، في محلة الشيخ عز الدين الجديداوي (قسم من محلة السنك فيما بعد) .

وقد تعهد آل مدلج هذه السقاية والمسجد بالعناية المستمرة ، ففي سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م حبس الشيخ عبدالقادر مدلج عليهما الدار العائدة له والمتصلة بجامع النعماني ، مقابل مسجد العلامة محمد بن عبدالرحمن الرحبي مفتي الشافعية ببغداد ؛ بموجب الوقفية المؤرخة في السنة نفسها.

وفي سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م وقفت السيدة عائشة خاتون بنت الشيخ عبدالقادر مدلج بستان في قصبة الكاظمية على مصالح المسجد والسقاية بموجب الوقفية المؤرخة في ٢٧ ذي القعدة من السنة المذكورة[١٢٩] .

سقاية ابي سيفين

شيدها والي بغداد حسين باشا السلاحدار (١٠٨٣ ـ ١٠٨٥هـ/١٦٧٢ ـ ١٦٧٤م) عند المرقد والمسجد المنسوبين الى « ابي سيفين »[١٣٠] الواقعين في محلة الطاطران ، وهي آخر المحلات المعمورة من بغداد الشرقية في العصر العثماني . وقد وردت الاشارة اليها في وقفية حسين باشا المذكور ؛ المؤرخة في سنة ١٠٨٦هـ/١٦٧٥م[١٣١] .

---

(١٢٣) الشابندر تخفيف لـ (شاه بندر)شاه،ملك؛بندر ميناء ، او فرضة (او مدينة تجارية) وفي الاصطلاح: الشاهبندر، هو كبير تجار المدينة ورئيس طائفتهم . وشيخ بندر قريبة من شاهبندر بالمعنى والمبنى ، وبخاصة ان الاتراك يلفظون الكاف هاء ، وقد اوردها على هذا الشكل مرتضى نظمي زاده : كلشن خلفا ص ٢٥١ .

(١٢٤) اوليا چلبي سياحتنامه سي ٤/٤٠ و ٤١ .

(١٢٥) المصدر نفسه ٤/٤٠ .

(١٢٦) كلشن خلفا ٢٤٢ وتاريخ نعيما (استانبول ١٢٨٠) ٤٠/٢ والاثر الوحيد الذي مايزال قائما من آثار هذا الوالي ، لوحة رخام مثبتة على المرقد المنسوب لابن‌الجوزي في محلة السنك ، قرب بئر ساقية الشيخ عبدالقادر الكيلاني .

(١٢٧) اخباره في كلشن خلفا ص ٢٥٢ .

(١٢٨) اوليا چلبي سياحتنامه‌سي ٤/٢١ .

(١٢٩) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط) .

(١٣٠) ورد اسمه في قائمة اولياء بغداد (مخطوط كتب في القرن الحادي عشر للهجرة) على النحو الآتي « الشيخ محمد ابو سيفين في محلة الطاطر » وذكر عباس‌بن‌رجب‌البغدادي انه احد « المجاهدين الذين اتوا مع المرحوم السلطان مراد خان الرابع » . نيل المراد في احوال العراق وبغداد ، (مخطوطة نشرنا بعض فصولها في مجلة الرسالة الاسلامية ، العدد ١١٧ ـ ١١٨ ، ١١٩ ـ ١٢٠ ، و ١٢١ ـ ١٢٣(بغداد ١٩٧٨) .

(١٣١) مجموعة وقفيات بغداد (مخطوط) .

سقاية مرقد الغزالي

شيدها والي بغداد حسين باشا السلاحدار ؛ عند القبر المنسوب الى الامام ابي حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى في طوس سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م) وقد اشير اليها في الوقفية المتقدمة(١٢٢) .

سقاية مرقد ام موسى الكاظم

شيدها والي بغداد حسين باشا السلاحدار ، في ناحية فاحلة خارج المنطقة المأهولة من بغداد الشرقية . وقد وردت الاشارة اليها في الوقفية المشار اليها آنفا(١٢٣) .

سقاية جامع علي افندي

انشأ هذا الجامع الحاج علي افندي بن مراد من اهالي القرم سنة ١١٢٣هـ/١٧١١ ؛ وموقعه في محلة راس الكنيسة (جزء من محلة الميدان حاليا) . وانشأت سقايته السيدة امينة ، احدى المحسنات ببغداد في العصر العثماني . وكتبت على جدار السقاية الابيات الآتية(١٢٤) :

ذا سلسبيل ماؤه سلسل
راق ومنه طاب نفسا وارده

زلاله عذب فرات سائغ
شرابه يروي العطاش بارده

عين الرضا قد سلسله صافيا
موصولة لشارب عوائده

خيراته امينة من ربيبة
نافعة والخير طاف شاهده

مرصعا بجوهر انعقد اتى
تاريخه حوض صفت موارده

وقد زالت هذه السقاية عند هدم الجامع وشق شارع الجمهورية ؛ ثم قامت الأوقاف باعادة بنائه على صورة حديثة لا صلة لها بشكله القديم .

سقاية السيدة سكينة العباسية

شيدتها السيدة سكينة بنت محمد العباسية، في المسجد الذي كانت أسرتها تتولاه منذ سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م ؛ وموقعه في ارض « سراي بغداد » . وكان موضع السقاية منه مما يلي باب الجامع عن شرقيه في السوق ؛ ورتبت للسبيل مسبلا وسقاء ماء النهر الى حوض السبيل . وشرطت للاول يوميا خمس آقجات وللثاني ست آقجات ؛ وثبتت ذلك في نص الوقفية . وقد بقيت هذه السقاية قائمة حتى هدمها في ايام ولاية مدحت باشا (سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٨م) وقبل ان كتابات اثرية كانت عليها حطمت في اثناء هدمها(١٢٥) .

سقاية كنج عثمان

كانت تقع عند قبر كنج عثمان ، احد المحاربين العثمانيين الذين اسهموا في فتح عدد من المدن العراقية ، قبل قدوم السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨(١٢٦) . وليس من المعروف تاريخ انشاء هذه السقاية عند قبره . ومن المرجح انها انشأت سنة ١١٣٣هـ/١٧٢٠م عند قيام والي بغداد حسن باشا بتجديد قبة قبره ؛ ومصلاه وتزيينه بقطع القاشاني وفيه مايسجل المناسبة ويؤرخها .

وقد لبثت هذه السقاية قائمة حتى مطلع هذا القرن ، وقامت دائرة الاوقاف بتعميرها ، وما حولها من آثار ، سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، ولكنها هدمت وسويت بالارض سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م ، ولم يبق منها سوى القبر وحده في الطريق . وفي ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧ قام المحتلون الانكليز بازالته وتسويته في الطريق ، ونقلت بقايا رفاة كنج عثمان الى مقبرة الشهداء خارج سور بغداد(١٢٧) .

سقاية جامع النعمانية

انشأتها السيدة فاطمة خاتون بنت بكتاش بن ولي سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م والحقتها بالمسجد الذي ابتنته في محلة الشط (جزء من محلة الميدان حاليا) ووقفت على المسجد والسقاية اوقافا كثيرة ، وجعلت التولية من بعدها لزوجها نعمان اغا بن الحاج ابراهيم اغا (ومنه اكتسب الجامع اسمه) ومن بعده لاولاده(١٢٨) . وكان موضع السقاية من المسجد قرب بابه ، يطل شباكها على الطريق (انظر الصورة رقم ٢) وفي سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٢م أعاد من اسمه عبدالحميد تعمير السقاية . فكتبت عليها ستة ابيات دالية ، على ثلاثة اسطر ؛ تؤرخ ذلك . هي(١٢٩) .

---

(١٢٢) المجموعة نفسها .

(١٢٣) وقد وقف عليه عقارات جمة ، فصلها في وقفيته المؤرخة ٨ جمادي الاولى سنة ١١٢٣هـ/١٧٢٠م .

(١٢٤) محمود شكري الالوسي : مساجد بغداد ص٧٠ (مخطوط)

(١٢٥) محمد صالح السهروردي في جريدة العراق البغدادية ، بتاريخ ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ .

(١٢٦) اخباره في تاريخ نعيما ١٩/٣ ومحمد ثريا : سجل عثماني ٤١٨/٢ .

(١٢٧) رؤوف عيسى في مجلة لغة العرب ٢٢٢/٤ وعباس العزاوي تاريخ العراق بين احتلالين ١٨/٥ .

(١٢٨) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط) .

(١٢٩) نقلتها من على شباكها مباشرة في صيف سنة ١٩٦٧م . وكانت قد فقدت معالمها تحت طبقات من الاسمنت في اثناء بعض اصلاحات الجامع ، فلم نعد نقرأ . فقمت بحكها وازالة مابشوهها ، فظهرت جلية الى العيان .

هـذا الســبيل على تقى حوض أجر
حميـد الســجايا قد بناه جـديدا
وهـذب بالطبـع الســليم نميره
فاصـبح عـذبا للشـفاء مفيـدا
وراق بـه المـاء الـزلال كخلـقه
من الطبـع ان تجني الورود وردودا
لـه الطالـع الســعد المنور بالهـدى
ابى الله الا ان ان يعيش سـعيدا
الا ايها الظامي لك الشـرب سـائغ
هنيئـا مريئـا ان قضـيت ورودا
تـرى الكوثـر الصافي عليه مؤرخا
ورودك حـوض السلسبيل حميـدا

سقاية مسجد الست نفيسه

ترقى الى القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) . انشاها بعض اهل الخير في مسـجد الـست نفيسـه في الجانب الغربي من بغـداد(١٤٠) . ونالت اهمية خاصة نظرا لموقعها في آخر عمران هذا الجانب . وقربها من خط الترامواي الذي انشاه مدحت باشا والي بغداد . ولبثت هذه السـقاية موجودة حتى توسيع الشارع الذي تطل عليه (شارع موسى الكاظم) سنة ١٩٥٤ ، فنقضت ؛ مع قسم من المسجد ، وعند اعادة بناء المسجد لم تبن السقاية المذكورة(١٤١) .

سقاية زكريا الخضيري

انشاها الحاج زكريا بن عبدالوهاب بن ملا خضر المعروف بالخضيري ، احد وجهـاء بغـداد وتجارها في اواخر القرن الثاني عشر واوائل القرن الثالث عشر للهجرة (١٨ و ١٩) الحقها بمسـجده الذي شيده في محلة التسابيل ، القريبة من محلـة باب الشيخ في شرقي بغداد ، وهو المعروف بمسجد التسابيل . وكان افتتاح السـقاية سـنة ١٢٢٨هـ/١٨١٢م ؛ وقد كتبت على شباكها خمسة ابيات لامية هي :

اباح لوراد من الماء صافيا
واوردهم عذبا فراتا وانهلا
وصيره وقفا على كل وارد
اراد وضوا او تطلب منهلا
فحاز ثوابا كالذي صام دهره
وصلى دوام العمر طولا وهللا
ترى زمر الوراد تاتي صوادبا
وترجع من ري من الماء علللا
لذلك اضحوا قائلين وارخوا
سقى زكريا ليوم يبعث سلسلا
١٢٢٨

وعند وفاة الواقف سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م ، دفن في مسجده ؛ قرب السقاية المذكورة .

وعلى الرغم من جسامة الاوقاف التي حبسها الواقف(١٤٢) ؛ اهمل مسـجده وتـرك . وافرزت مديرية الاوقاف محل السقاية واقتطعت قطعـة من ساحة الجامع ، فادخلتها ضمن ارض السقاية ؛ ودفعتها الى وزارة المعارف يومذاك بالاجارة الطويلة فانشأت عليها الاخيرة مدرسة ابتدائية تسمى بمدرسة الدسابيل . فكان هذا آخر العهد بالسقاية.

سقاية خضر بك

انشاها خضر بك بن عبدالله جلبي بن امير الحاج محمد ياسين جلبي ، احد امراء الحلة في القرن الثاني عشر(١٤٣) ، في جامعه الذي شيده في محلة امام قله من شرقي بغداد سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م ؛ وخصص لها شيئا من الاوقاف ، وشرط ان يشترى الماء من شاطىء دجلة بـ (١٢٠) آقجة يوميا . وخصص رواتب ثابتة للعاملين فيهـا وفي سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م وقفت السيدة رحمة خاتون بنت عبدالكريم جلبي بن محمد ياسين جلبي ، من اسرة الواقف الاول ، عددا من البساتين على مصـالح الجامع وسقايته(١٤٤) .

---

(١٤٠) ينسب الى السيدة نفيسة القشطيني من فضليات بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة ويرى بعضهم ان مؤسسه هو محمد سعيد القشطيني الاول ، عمره بخالص ماله ، في حين يرى آخرون انه محمد سعيد المشهور بالحاج اسعودي الكريتي . ووصفه محمد افندي الناصري الكريتي فقال « فيه غرفة تحتانية فيها قبور عديدة ، منها قبر الرجل الصالح المشهور بالكرامات الشيخ موسى الجبوري (توفي سنة١٢٤٦هـ/١٨٣١م) وقبر الشيخ عبدالغفور احد خلفاء الشيخ خالد النقشبندي (توفي سنة١٢٧٢هـ/١٨٥٥م) .. ولم اقف على تاريخ تاسيسه ، وفيه قبر بجانب البئر عن يمين غرفة المغبرة للداخل فيها يقال انه هو محمد سعيد افندي الحاج اسعودي والله اعلم ، اما اليوم فالاوقاف قائمة بمصارفه وفيه خطيب وامام ومؤذن وخادم ، تقام فيه الجمع والاعياد والجماعات » ذيل مساجد بغـداد (مخطوط) .

(١٤١) الآلوسي : مساجد بغداد ص ٥٦ (مخطوط) .

(١٤٢) الوقفيتان المؤرختان ٢٥ ذي الحجة ١٢١١هـ و١٧ شعبان ١٢١٧ الصادرتان من المحكمة الشرعية ببغداد .

(١٤٣) توفي سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م وهو من الاسرة التي عرفت فيما بعد بآل عبدالجليل وحكمت الحلة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة .

(١٤٤) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط) .

بيد ان الخراب لم يلبث ان استولى على هذه المنشآت الخيرية حينا من الدهر ، وعند قيام المتولي بتعمير الجامع وتجديده ، اهملت السقاية فانقطعت اخبارها منذ ذلك الحين(١٤٥) .

سقاية اسماعيل الشطي

انشأها الحاج اسماعيل جلبي بن عبدالرحمن جلبي الشطي البغدادي من التجار البارزين ببغداد في القرن الثالث عشر للهجرة(١٤٦) ؛ سنة ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م وكان موقعها قرب جامع القزازة في محلة القناهرة من شرقي بغداد(١٤٧) .

سقاية عادلة خاتون

انشأتها السيدة عادلة خاتون بنت والي بغداد احمد باشا (توفيت سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م) سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م ، في مسجدها المعروف بجامع العادلية الصغير(١٤٨) على طريق الجسر القديم (جسر الشهداء حاليا)(١٤٩) . وكان على باب المسجد لوحة من الرخام عليها ستة ابيات دالية فيها اشارة الى السقاية ، وتاريخها ، منها :

فلما زها بنيان باب دخوله
وجلت ماء الظمآن من الصدى
هنالك اقتباسيانه (كذا) الذكر ارخوا
لرب السماء الهادي ادخلوا الباب سجدا
١١٦٠

سقاية جامع السراي

لا يعلم منشؤها ، وكانت تقع في جامع السراي(١٥٠) ؛ ويطل شباكها على الطريق المؤدية الى ساحة مديرية الشرطة . أشار اليها عباس بن رجب البغدادي سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م(١٥١) . وبقي حوض السقاية موجوداً في موضعه ، وهو من حجر الحلان المنقور ، المتوفر في نواحي الموصل ؛ وله ثلاث فتحات لصب الماء منه ؛ وعند تعمير الجامع مؤخراً ازيل هذا الحوض الاثري وكسر فلم يبق للسقاية اي اثر .

سقاية نابي خاتون

انشأتها السيدة نابي خاتون بنت عبدالله ، زوج والي بغداد سليمان باشا الكبير (١١٩٤ ـ ١٢١٧هـ/١٧٨٠ ـ ١٨٠٢م) ووالدة والي بغداد سعيد باشا (١٢٢٨ ـ ١٢٣٢هـ/١٨١٣ ـ ١٨١٦م)(١٥٢) باتصال مدرستها التي شيدتها في السوق الجديد من « الميدان » بالجانب الشرقي من بغداد سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م ووقفت عليها ، وعلى مدرستها ، عقارات عديدة ، اثبتتها في وقفيتها المؤرخة في ٢٨ رجب ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م(١٥٣) .

سقاية السيف

انشأها والي بغداد داود باشا (١٢٣٢ ـ ١٢٤٧هـ/١٨١٦ ـ ١٨٣١م) عند جامع السيف(١٥٤) ؛ حين قام بتعميره تعميراً شاملاً في السنوات ١٢٣٦ ـ ١٢٤٠هـ/١٨٢٠ ـ ١٨٢٤م « ليستقي منها الناس ويشرب من مائها ابناء السبيل »(١٥٥) وقد امتدحها الشيخ محمد صالح التميمي بابيات بائية كتبت على جدرانها ، هي :

---

(١٤٥) يقع الجامع اليوم قريبا من شارع الجمهورية ، مجاورا لمركز شرطة المهدية .

(١٤٦) ولد سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م ولاعلم تاريخ وفاته .

(١٤٧) نقض هذا الجامع وادخلت ارضه في شارع الجمهورية عند فتحه .

(١٤٨) ويعرف باسم جامع الدنكجية نسبة الى (العقد) الذي يقع فيه .

(١٤٩) نقض هذا الجامع وادخلت ارضه في شارع المامون ، وشيدت الاوقاف جامعا كبيرا باسمه على يسار الذاهب الى الاعظمية .

(١٥٠) ويسمى جامع جديد حسن باشا ، وكان يسمى قديما بالجامع السليماني نسبة الى السلطان سليمان القانوني الذي عمره سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م ثم جدده والي بغداد الوزير ابراهيم باشا سنة ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م واعاد بناءه ووسعه والي بغداد حسن باشا (المتوفى سنة ١١٢٥هـ/١٧٢٢م) ولبث جامعا خاصا بالولاة والوزراء طيلة العصر العثماني .

(١٥١) مجلة الرسالة الاسلامية العدد ١٢١ ـ ١٢٢ (بغداد ١٩٧٨) ص ٨٦ .

(١٥٢) شاركت هذه السيدة في الحكم واسهمت في توجيه سياسة زوجها وولدها ، وبعد مقتل الاخير ، اعتكفت عن الناس ، وتركت الحياة العامة ، ثم شرعت بجملة اعمال خيرية نافعة منها هذه السقاية . انظر : سليمان فائق : مرآة الزوراء في اخبار الوزراء (المسمى تاريخ بغداد) ترجمة موسى نورس ص ٥١ وتاريخ المماليك الكولة منذ في بغداد ، ترجمة نجيب الارمنازي ص ٩) .

(١٥٣) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط) .

(١٥٤) مسجد قديم كان على شاطىء دجلة الغربي ، قريبا من جسر الشهداء الحالي ، كنا قد رجحنا ان اصله في العصر العباسي دار القران البشيرية المشيدة سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م وعمر في عهد السلطان سليم الثالث سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م ومن المؤسف ان ينقض هذا الاثر المهم ويحطم ما عليه من كتابات اثرية ، ليمسي ساحة لوقوف السيارات ! عماد عبدالسلام رؤوف: دار القرآن البشيرية وهل هي مسجد السيف القديم . جريدة البلد البغدادية بتاريخ ١٠ـ١١ـ١٩٦٦ .

(١٥٥) ديوان محمد صالح التميمي .

ارى كل مكرمة في الورى
الى غير داود لا تنتسب
حبى الكرخ من بركة سيبها
اذا نضب البحر لا ينضب
وما يبتغى الناس من صيب
ونائل راحاته صيب
اذا ذقت من مائها فاستمن
بآخر ري به يعذب
وارخ ونادِ بواردها
هنيئاً مريئاً لمن يشرب

واندثرت هذه السقاية عند نقض الجامع نفسه سنة ١٩٦٦م ، فلا اثر لها اليوم .

سقاية جامع الازبك

انشا هذه السقاية او جددها والي بغداد داود باشا سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٨م ؛ وكانت تطل بشباكها من جامع الازبك ، على الطريق العام ، فهي قريبة من باب المعظم ، الى يمين الداخل منه الى بغداد . وبقيت موجودة حتى الربع الاول من هذا القرن[١٥٦] .

سقاية جامع الحيدرخانة

انشاها والي بغداد داود باشا سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م في جامع الحيدرخانة الذي عمره ، او اتم تعميره في تلك السنة[١٥٧] . وكان لها شباك مطل على سوق الحيدرخانة ينهل منه المارون[١٥٨] . وشرط مؤسسها في وقفيته « لمن يناول الماء للشاربين من الماء المسبل للشرب خمسون قرشاً . . وللسقاء الذي ياتي بماء الجامع في كل يوم عشرة قرب ، ثلثمائة وستون قرشاً »[١٥٩] .

سقاية خاتون بنت عبدالله

شيدتها السيدة خاتون بنت عبدالله وزوجها احمد آغا بن اسماعيل اغا سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م؛ وكانت تقع في محلة الميدان ، ببغداد الشرقية ، مطلة بشباكها على الشارع العام[١٦٠] . ووقفت عليها اربعة دكاكين في المحلة نفسها ، وشرطت ان تصرف الغلة على لوازم السقاية والفضلة تكون لذريتها ، وبعد انقراضها تصرف جميع الغلة على السقاية وتعميرها . وسجلت هذه الوقفية في ٧ صفر من السنة نفسها[١٦١] .

سقاية عاتكة خاتون

انشاتها السيدة عاتكة خاتون بنت السيد علي القادري الكيلاني نقيب الاشراف (توفيت سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م) في مدرستها التي شيدتها قرب جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ببغداد سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م وعرفت بالمدرسة الخاتونية[١٦٢] . وقد وقفت على مدرستها هذه وسقايتها اوقافا جمة ، وشرطت للسقاية كل يوم مبلغا قدره (٢٤) انجة[١٦٣] . ولكن خرابا اصاب جميع هذه المنشآت نتيجة الطاعون الجارف والغرق الذي الم ببغداد سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م ، فاندرست ومحي اثرها[١٦٤] .

سقاية نازندة خاتون

انشاتها السيدة نازندة خاتون بنت مصطفى اغا (توفيت سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م) زوج علي باشا والي بغداد (١٢١٧ – ١٢٢٢هـ/١٨٠٢ – ١٨٠٧م) وانتحتها سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م[١٦٥] . وكانت تقع في الجامع الذي شيدته في محلة الحيدرخانة ، قريباً من شارع الرشيد ، يطل شباكها على الطريق ، وخصصت لها منشآتها من الاوقاف العديدة التي وقفتها مبلغاً قدره (١٨٠٠) قرشا رائجا ، للانفاق على صيانتها ، ومدها بالماء على الدوام[١٦٦] .

وقد تعطلت هذه السقاية منذ ان لحق الخراب الجامع نفسه ، في اوائل القرن الحالي[١٦٧] .

---

(١٥٦) انظر عن هذا الجامع : عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ٥/٢٥ وديوان محمد صالح التميمي ص ٧٩ .

(١٥٧) اسامة النقشبندي : جامع الحيدرخانة ، عمارته وموضعه . مجلة سومر مجلد ٢٩ جزء ١–٢ (بغداد ١٩٧٣) ص ٢٤٥ .

(١٥٨) زال هذا السوق ، وكان يقع في ارض شارع الرشيد ، ويتصل بالواجهة الحالية للجامع بعقود .

(١٥٩) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط) .

(١٦٠) في نص الوقفيه انها تقع بين الشارع العام وملك عبدالكريم النقطجي .

(١٦١) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط) .

(١٦٢) عماد عبدالسلام رؤوف : الاثار الخطية في المكتبة القادرية (بغداد ١٩٧٤) ١/٢٩ .

(١٦٣) وقفية المدرسة الخاتونية مؤرخة في ٢٠ جمادى الاولى سنة ١٢٢٥هـ . المحكمة الشرعية ، سجل ١١ ص ٢٠٧ .

(١٦٤) ابراهيم السروبي : البغداديون ، اخبارهم ومجالسهم (بغداد ١٩٥٨) ص ٢٢٤ .

(١٦٥) البغداديون ص ٢٤٠ .

(١٦٦) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط) .

(١٦٧) اعادت الاوقاف بناءه ليكون مدرسة دينية باسم « مدرسة نازنده خاتون » .

سقاية دكان شناوه

لا يعلم مؤسسها ، وكانت تقع في محلة « دكان شناوه » بين محلة الحيدرخانة جنوباً ، والقراغول شرقاً والصابونجية شمالاً والميدان غربا .

ذكرها فينكس جونز سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م ، اذ اشار الى ان عقداً من عقود هذه المحلة يسمى « عقد السبيلخانة »[١٦٨] . ولا ندري انى اي عهد بقيت .

سقاية صبغة الله الحيدري

انشاها السيد صبغة الله بن ابراهيم الحيدري البغدادي ، مفتي الشافعية ببغداد (توفي سنة ١٢٧١هـ/١٨٥٤م)[١٦٩] سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م وكان موقعها قرب جامع الخلفاء (جامع القصر قديما) ببغداد الشرقية . وكتب على جدارها ، بالرخام ، خمسة ابيات حائية ، تضمنت اسم المنشيء ، وتاريخ انشائها . وكان السيد محمود شكري الالوسي (توفى سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م) قد سجل هذه الابيات ، قبل نقضها ، وهي[١٧٠] :

ذي بركة يرتوي منها بضحضاح
كادت تؤلف ابدانا بارواح
فصبغة الله اجرى ماءها غدقا
للواردين بنبريد واصلاح
يرجو الثواب من الرب الكريم بها
يوم الحساب وان يسقى باقداح
بشراه قد ربحت فيها تجارته
وفاز في خير محصول وارباح
ان جئت شمآن قلب يا مؤرخها
اشرب هنيئا مريئا بارد الراح

وعند هدم الجامع سنة ١٩٥٨ لشق شارع الجمهورية . زالت هذه السقاية وفقدت الرخامة المذكورة . وبقيت كذلك ، حتى اسعدني الحظ بالعثور عليها ، واذا بها ما تزال في حالة جيدة ، يبلغ طولها ٣٦ سم وعرضها ٣٥ سم وثخنها ٥ر٥ سم . وقرات عليها ، بعد حكها وتنظيفها ، الابيات الخمسة المذكورة ، وهي مكتوبة بخط النسخ البديع ، ومنقوشة باتقان وعناية .

ومما يلفت النظر ان الالوسي سجل تاريخ شطر الشعر في الرخامة (١٢٦٠) رغم ان المكتوب على الرخامة نفسها (بالارقام اضافة الى مجموع الحروف) هو ١٢٦٧ وعليه جرى الاستاذ يعقوب سركيس في بحثه عن « منارة جامع سوق الغزل »[١٧١] والاستاذ عباس العزاوي في مقاله « جامع الخلفاء » ، لعدم اطلاعهما على النص الوارد فيها عيانا (انظر الصورة رقم ٣) .

سقاية خلف اغا

انشاها خلف اغا ، قائم مقام الحلة[١٧٢] في عهد والي بغداد نامق باشا الكبير سنة ١٢٧٧هـ/١٨٥٣م قرب حديقة له ظاهر سور الكرخ ، في الجانب الغربي من بغداد وكان « يبرد فيها الماء العذب لشرب ابناء السبيل » . وكتب على جدار السقاية قصيدة بائية ، فيها تاريخ انشائها ، وهي[١٧٣] :

هذا سبيل لا عيب فيه قد
راق لابناء السبيل مشربا
كوثر ماء في رياض جنة
يجنى جنى الجود منها رحبا
رق نظمآن الحشا سلساله
رقى سلسال زلال الصهبا
مدى عليه للقرى قصر علا
طال الزمان في علاه الشهبا
اكرم به من « خلف » سلسبيله
اوقفه لله منه حسبا
وراح كل وارد وصادر
يشكره شكر الرياض السحبا
وكم ورى قلباً به لحاسد
وكم به روى لصاد قلبا
ومن تكن عقباه مثل هذه
فلا يخف يوم المعاد العقبا
يا حبذا سيب سبيل ورده
فارخت شراباً عذبا
١٢٧٧

سقاية نائلة خاتون

انشاتها السيدة نائلة خاتون بنت عبدالرحيم سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م ظاهر اسوار الجانب

---

(١٦٨) Jones, F., Op. Cit., P. 314.

(١٦٩) ترجم له ابنه ابراهيم فصيح في كتابه « عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد » (بغداد ١٩٦١) ص١٢٠-١٢١

(١٧٠) مساجد بغداد ص ٦٧ (مخطوط) .

(١٧١) مباحث عراقية (بغداد ١٩٤٨) ٢٤٦/١ وفيه مايوافق السنة (١٢٦٠هـ) حسب التاريخ الميلادي ، وهو١٨٤٤م)

(١٧٢) يوسف كركوش : تاريخ الحلة (النجف ١٩٦٥) ١٤٣/١.

(١٧٣) مساجد بغداد ١٢١ (مخطوط) .

الشرقي من بغداد ، على الطريق المؤدية الى قصبة الاعظمية ، ضمن البستان المعروف ببستان الوقف ، قريباً من سقاية الحجية[١٧٤] . ووقفت عليها اوقافاً دارة ، وشرطت ان يصرف عليها من غلتها ، وما يتبقى يصرف على المدرسة التي انشأتها قبالة جامع الحيدرخانة ببغداد[١٧٥] . كما جعلت هذه السقاية مدفناً لزوجها مراد افندي المتوفى سنة انشائها ، ثم مدفناً لها بعد وفاتها سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م . وقد بقيت السقاية قائمة للنفع العام حتى ازالتها عند توسعة الشارع سنة ١٩٣٥ ونقل رفاة دفينيها الى مقبرة الامام الاعظم . ولما بنى السيد عبدالحميد الدهّان جامعه على قطعة ارض تعود الى هذه الواقفة ، بنى فيه سقاية ، وهي موجودة الى اليوم[١٧٦] .

سقاية سلمان القادري

انشأها السيد سلمان بن علي بن سلمان القادري الكيلاني ، نقيب الاشراف ببغداد (توفى ١٢١٥هـ/١٨٩٧م) سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م . وتقع باتصال المسجد الذي شيده في السنة نفسها ، والواقع في محلة السنك من شرقي بغداد[١٧٧] . وقد وقف على مصالح سقايته ومسجده اوقافاً جساماً ، فصلها في نص وقفيته ، وشرط « ان يكون الماء جارياً بلا انقطاع شتاء وصيفاً يستقى كل من اراد من ابناء السبيل والمترددين ، ومن اراد حمل الماء بالاواني المخصوصة الى بيته من الحوض المعد لذلك فلا يسوغ لاحد منعه ، ومن منعه وقطعه فعليه ما يستحق من الله تعالى ! » وشرط ان يعطى لمن يقوم بخدمة السقاية ٧٥ قرشاً صاغاً كل شهر ، اضافة الى مخصصات مالية عديدة لتغطية مصارف السقاية الاخرى[١٧٨] . وثبتت فوق شباكها لوحة رخامية نقشت عليها خمسة ابيات بائية ، فيها تاريخ انشائها . وهي :

سيد القوم وفخر النجبا
من له فوق الثريا نسب
رضى الله على افعاله
وبه يعلو العلى والرتب

(١٧٤) سيأتي الكلام عليها في هذا البحث .
(١٧٥) الوقفيات المؤرخات ٩ ربيع الاول ١٢٩١ و ١٦ ذى الحجة ١٢٩١ و ٦ ربيع الاول ١٢٩٢ .
(١٧٦) البغداديون ٣٠٦ وهاشم الاعظمي : تاريخ جامع الامام الاعظم (بغداد ١٩٦٥) ٢/١٩٠ .
(١٧٧) محمد صالح السهروردي : لب الالباب ب١٢١/٢ .
(١٧٨) وقفية السيد سلمان القادري ، مؤرخة في ١٧ رمضان ١٣١٢هـ ، المحكمة الشرعية السجل ٤٤ .

بالندى يمناه اجرت مورداً
جلة الوارد منه تشرب
فاذا قلت لعمري دجلة
ماؤها عذب فرات طيب
قلت بالواحد لطفاً ارخوا
سلسبيل القادري اعذب
١٢٠٠

وما تزال هذه السقاية قائمة ، وعليها ما نقشناه من ابيات ، الا ان الماء انقطع عنها منذ عهد بعيد (الصورة ٤) .

سقاية عبدالرزاق الخضيري

انشأها الحاج عبدالرزاق جلبي بن ياسين بن عمر الخضيري سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م عند مسجد الشيخ عبدالعزيز الانصاري في محلة الشيخ سراج الدين من شرقي بغداد ، وذلك بمناسبة تعميره للمسجد المذكور في تلك السنة . ووقف عليها بعض الأوقاف ضماناً لدوامها[١٧٩] .

سقاية عطية خاتون

انشأتها السيدة عطية خاتون بنت محمود اغا بن عبدالله سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م باتصال باب جامع العاقولي[١٨٠] في شرقي بغداد ، ووقفت عليها داراً في محلة جديد حسن باشا ، وشرطت صرف غلتها على اصلاح السقاية وترميمها . واوكلت امر توليتها الى اسماعيل افندي بن الحاج سليم بن امين بن شعبان ، وجعلت النظارة عليها للعلامة السيد نعمان خيرالدين الآلوسي (توفى سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م)[١٨١] . ولم يبق للسقاية اليوم اثر ، وقد علمت ممن عاصرها انها زالت في الاربعينات من هذا القرن .

سقاية صالح بن محمد

انشأها الشيخ صالح بن محمد بن فتاح في محلة (فضوة عرب) التي هي جزء من محلة باب الشيخ ، ووقف على ادارة مصالحها دار سكناه وكانت تقع بقربها بموجب الوقفية المؤرخة في ٧ ذي القعدة سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٥م[١٨٢] .

(١٧٩) مجموعه من وقفيات بغداد (مخطوط)
(١٨٠) جامع قديم كبير في محلة العاقولية التي نسبت اليه ، كان في الاصل داراً للشيخ جمال الدين عبدالله بن محمد بن العاقولي مدرس المستنصرية ، وبعد وفاته سنة٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م تحول الى مسجد . وقبره فيه ظاهر الى اليوم، وجرى تعميره غير مرة آخرها سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢ م.
(١٨١) مجموعة من وقفيات بغداد (مخطوط) .
(١٨٢) المصدر نفسه .

سقاية جاسم الحجية

شيدها جاسم الحاج محمد خلف الحجية سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٤م في الحديقة (البقجة) المحاذية لبستان الربع التي ورثها عن والده الحاج محمد الحجية متعهد ارزاق الجيش العثماني في بغداد في عهد مدحت باشا . على الطريق العام المؤدي الى جامع الامام الاعظم ، حيث كان المارة وعابرو السبيل يستريحون هناك ويتوضؤون ان كان وصولهم اليها في اوقات الصلاة ، حيث كان في الجهة المقابلة لمدخلها مصلى واسع .

ولضمان تزويد السقاية بالماء ، فقد مد منشؤها اليها قناة من شاطىء دجلة ، يرفع اليها الماء بواسطة دولاب كان يسقي ايضا بستان الربع ، ويصب في حوض كبير ؛ مطلي داخله بالقار ، موضوع داخل مبنى السقاية ، مما يلي شباكها مباشرة ، وفي هذا الحوض يترسب الماء ، ويتعهده بالملىء والتنظيف عامل خاص له مرتب شهري . وكانت ساحة السقاية ١٥٦ مترا مربعا ، اضافة الى مصلى مقابلها ، وبئر لاستعماله عند انقطاع مياه القناة .

وكتبت فوق محل شرب المياه ثلاثة ابيات للعلامة عبدالوهاب النائب (توفي ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م) فيها تاريخ انشائها . ومنها[١٨٣] :

جاسم قد بنى واحسن منها
لأبيه محمد خير منهل

وبعد انتفاء الحاجة الى هذا المشروع الخيري، بوصول العمران بين الاعظمية وبغداد ، واستعمال وسائل النقل الآلية ، هدم جاسم الحجية سقايته، الا جدارا واحدا كان يشتمل على المدخل ومحل شرب الماء وفوقه الرخامة المذكورة ، وبقيت هذه الآثار حتى باعها الورثة سنة ١٩٥٩م ، فهدم من اشتراها محل الشرب وادخله في بيته .

سقاية كامل الزند

انشاها كامل بك بن الحاج امين الزند سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م ، عند المسجد الذي شيده على قسم من دار ابيه مفتي بغداد ، في محلة البارودية، من محلات شرقي بغداد . وكتب فوق باب المسجد خمسة ابيات تشتمل على تاريخ العمارة ، وفيها اشارة الى السقاية المذكورة ، هي[١٨٤] :

ذا جامع فيه رياض التقى
مزهرة فليعمل العامل
مكتبة فيه لاهل الهدى
ينال من جوهرها السائل
وماؤه العذب غدا كوثراً
فليس يحكيه الحيا الهاطل
شيده محتسباً موقناً
سليل صدر العلما الكامل
على التقى مذ تم ارخته
قد نار هذا المسجد الكامل
١٣٢١

وقد هدم هذا المسجد في تموز سنة ١٩٦٤ فضاع اثر سقايته .

سقاية سالم الحيدري

انشاها السيد سالم الحيدري سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م في محلة النصة ، على طريق الأعظمية . اشترى أرضها لتكون مقبرة له ، وكانت قبل ذلك قسماً من بستان (بقال بكر)[١٨٥] . ثم شيد عليها مسجدا صغيراً ، دفن فيه قريبه السيد صالح الحيدري المتوفى في السنة المذكورة ، والحق به سقاية ذات طابقين ، وجعل فوق شباكها لوحة رخام كتب عليها بخط بارز جميل سطرين ، يؤلفان العبارة الآتية « قد انشات هذه السبيل خانة الى المرحوم الشهيد حيدري زادة صالح افندي سنة ١٣٣٠ » . تلي ذلك قصيدة عينية من عشرة ابيات، كتبت على ستة اسطر ، وهي في رثاء السيد صالح الحيدري .

وما تزال بناية هذه السقاية قائمة ، وهي تقع بلصق دائرة البريد في الاعظمية .

سقاية هيبت خاتون

انشاتها السيدة الحاجة هيبت خاتون سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦ في محلة النصة من محلات قصبة الاعظمية . عند المدرسة التي شيدتها هناك . ووقفت عليهما اوقافا بموجب الوقفية المؤرخة في ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٨م[١٨٦] .

سقاية مسجد آل جميل

لا يعلم تاريخ انشائها ، وكانت تقع عند مسجد آل جميل في محلة قنبر علي بشرقي بغداد ، وفي سنة ١٣١٥هـ/١٩٠١م وقفت السيدة صفية

---

(١٨٣) عزيز جاسم الحجية : بغداديات (بغداد ١٩٦٧) ١٦٩/١ ـ ١٧١ .
(١٨٤) مساجد بغداد ٩٧ (مخطوط) .
(١٨٥) تاريخ جامع الامام الاعظم ١٩٢/٢ .
(١٨٦) البغداديون ٢٤٤ وتاريخ جامع الامام الاعظم ٥٨/٢ .

خاتون بنت محمد افندي بن السيد عبدالغني آل جميل مفتي بغداد بعض الدكاكين على هذا المسجد، وعلى السقاية ، وشرطت ان يعطى (٣٥٠) قرشا لتصرف على لوازم السقاية[١٨٧] .

سقاية حاجية خاتون

لا يعلم تاريخ انشائها ، وكانت تقع في مسجد حاجية خاتون ، في محلة الامام طه بشرقي بغداد ، ذكرها الشيخ محمد بهجة الاثري سنة ١٩٢٥م[١٨٨] ونقضت ، والمسجد ، عند توسعة شارع الرشيد .

سقاية الملا حمادي

انشأها شاكر الملا حمادي سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م في المسجد الذي جدد عمارته قرب جامع السيد سلطان علي في شرقي بغداد . واشار اليها عباس بن رجب البغدادي سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م[١٨٩] .

سقاية سيد محمد

اشار اليها السيد رشيد الخوجة في خريطته لبغداد[١٩٠] . وموقعها ـ كما تظهر فيها ـ خارج باب المعظم ، في ارض المدرسة الغربية المتوسطة اليوم ، وفيها قبر صاحبها .

سقاية الشيخ معروف الكرخي

لا يعلم تاريخ انشائها ، وموقعها عند جامع الشيخ معروف الكرخي ومقبرته في الجانب الغربي من بغداد[١٩١] .

خاتمة

شهدت بغداد ، في اواخر العصر العثماني ، محاولات متفرقة لتحسين الوسائل القديمة المتبعة في رفع مياه الشرب ونقلها الى محلاتها . ولقد انصبت تلك المحاولات ، بالدرجة الاولى ، على استبدال الآلات القديمة التي تعمل بقوة الحيوانات بآلات ذاتية الحركة ، اكثر حداثة ، دون ان تستهدف انشاء نظام جديد لتوزيع مياه الشرب على المحلات ، او ادخال فكرة تنقيتها من شوائبها او تعقيمها ، فلم تتجاوز تلك المشاريع ، في اغلب الاحيان ، رفع القنوات الآجرية القديمة ، واستبدالها بانابيب معدنية لتعمل على الأسلوب القديم نفسه ، ولتزود سقايات المدينة العامة بالطريقة المتبعة سابقاً .

ولعل اول محاولة من هذا النوع ، هي التي جرت في آخر عهد الولاة المماليك[١٩٢] ، ففي سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م عرض مهندس ايراني يدعى (ميرزا عبدالمطلب) كان قد قدم بغداد آنذاك على والي بغداد داود باشا (١٢٣٢ ـ ١٢٤٧هـ/١٨١٦ ـ ١٨٣١م) ان يقوم بصنع مضخة (طلمبة) تسحب الماء الى اي مكان مرتفع على ان تتعهد الحكومة بدفع ما يلزم من النفقات . فوافق داود باشا ، بعد ان درس المشروع بعناية ، وخصص له عدداً من الحدادين والعمال للعمل معه ، وسهل له كل الوسائل التي تعينه على انجازه المشروع ، فتم صنع المضخة في خلال مدة قصيرة ، ونصبت على دجلة ، واخذت بضخ الماء بكثرة هائلة ، فكانت موضع اعجاب الناس على اختلاف طبقاتهم[١٩٣] . وسميت بـ (چرخ يوسف) اي دولاب يوسف ، نسبة الى ابن ثلوالي يدعى طورسون يوسف .

ورغم ان داود باشا طلب من المهندس المذكور الاقامة ببغداد « ليتعلم سائر الناس منه » واجرى له راتبا[١٩٤] ، فاننا لا نجد في اخبار السنين التالية على هذا الحادث ما يدل على انشاء مشاريع اخرى من النوع المذكور اذ بقيت الدواليب القديمة مستمرة في عملها في مد اهل بغداد بمياه الشرب حتى فترة متاخرة من القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) واغلب الظن ان خرابا لحق بمشروع داود باشا نفسه بعد سنوات قليلة من تأسيسه اذ خلت المصادر ، وبخاصة اخبار المشاريع التالية ، من ادنى اشارة اليه .

وفي عهد والي بغداد المصلح مدحت باشا (١٢٨٦ ـ ١٢٨٩هـ/١٨٦٨ ـ ١٨٧٢م) بدأ التفكير جدياً بانشاء مشروع دائم لربط دور بغداد وسقاياتها العامة بانابيب ، وتضخ اليها المياه بواسطة مكائن حديثة تنصب في اماكن مختلفة من شاطىء دجلة . وتكون تحت ادارة بلدية بغداد

---

(١٨٧) البغداديون ص ٣٦٠ .
(١٨٨) مساجد بغداد وآثارها ، الفوائد ، ص ١٤٠ .
(١٨٩) مجلة الرسالة الاسلامية ، العدد١١٧ـ١١٨(بغداد١٩٧٨)
(١٩٠) خارطة بغداد كما مسحها ورسمها السيد رشيد الخوجة عام ١٩٠٨ ص١٦ .
عام ١٩٠٨ م (اطلس بغداد ص ١٦) .
(١٩١) محمد رؤوف الشيخلي : مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها (البصرة ١٩٧٢) ص ٨٢ .

(١٩٢) دام حكمهم من ١١٦٢ الى ١٢٤٧هـ/١٧٤٨ ـ ١٨٣١م .
(١٩٣) رسول حاوي الكركوكلي : دوحة الوزراء في تاريخ وقائع الزوراء (ترجمة موسى كاظم نورس ، بيروت) ص ٢٩٤ .
(١٩٤) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ (بغداد ١٩٥٤) ص ٢٦٨ .

المنشاة حديثا . وقد اوصي لهذا الغرض على خمسة مكائن من لندن ، قوة كل منها ١٢ حصانا ، ووضعت واحدة منها في مشرعة (شريعة) الميدان على سبيل التجربة ، الا انه لا دليل على اتمام المشروع على ما وعدت به جريدة الزوراء الرسمية في حينه . وكانت هذه الجريدة قد نشرت في ٧ ربيع الاول سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) خبراً يبشر البغداديين بانتهاء مشكلة مياه الشرب في مدينتهم على النحو الآتي :

« لا يخفى ان سطح بلدة بغداد بحسب ارتفاعه مقدار ذراعين ثلاثة اعشارية عن سطح نهر الدجلة ، فلهذا لا يمكن دخول الماء الى دار من الدور اصلاً ، والماء الذي تشربه الاهالي ينقل بواسطة سقاتي الحمير وسقاتي الظهر ، فالمشقة الحاصلة للخلق من هذه الجهة وعلى الخصوص لبعض العجزة من النساء ، فحوصلة البيان لا تسع ايضاح ذلك . بناء على هذا لاجل دفع احتياج اهالي مملكتنا من جهة الماء ، وان الذين يرمون (يرومون) ادخال الماء الى دورهم يعطى في بعض الامكنة حياض فيها مزملات يأخذ بواسطتها الماء . كان قبل هذا قد اوصى على جلب خمسة ماكينات لاجل الماء من لوندره ، وقوة كل منها في قوة اثني عشر حصان ، وان تدخل تحت حساب دائرة البلدية . وبهذه الدفعة قد وردت تلك الماكينات ووضعت واحدة منها بحذاء مطبعتنا لاجل التركيب والتجربة . فهذه المادة ما عدا انها تكون دافعة للضرورة العارضة للخلق من جهة تصل الماء ، فكذلك يكون الماء الجاري دائماً في كل دار . وحيث ان هذه الفائدة هي موجبة لكسب معمورية البلدة درجة اخرى ، فالحق انها لايقة بالتشكر والامتنان ، وانها الطف من الماء الزلال لدى الظمآن »(١٩٥) .

وفي سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م امر والي بغداد حازم بك (١٣٢٥ ـ ١٣٢٦هـ/١٩٠٧ ـ ١٩٠٨م) بنصب ماكنة اخرى في مشرعة الميدان واجرى الماء بالانابيب الى داخل بغداد ، فكانت تمد بمياه الشرب محلات الميدان وبعض الحيدر خانه والصابونجية وجديد حسن باشا والطوب ، وبلغ مجموع الدور التي يوزع عليها الماء ٣٦٠ دارا حسب(١٩٦) . وفي سنة ١٣٢٨ هـ/١٩١٠ نصبت ماكنه مشابهة عند دولاب الشيخ عبدالقادر الكيلاني فاصبحت تزود سقايته بالماء(١٩٧) ؛ بيد ان اشراف البلدية بقي قاصرا على المشروع الحكومي الوحيد ، وهو المنشا عند شريعة الميدان . وعند سقوط بغداد على يد المحتلين البريطانيين تولت سلطات الاحتلال ادارة المشروع ، ثم عهد به بعد تأسيس الحكومة العراقية الى ادارة « البلدية » فبقي تحت ادراتها حتى انشاء اول هيئة عامة لمياه الشرب في بغداد والعراق باسم « لجنة اسالة الماء لمدينة بغداد » سنة ١٩٢٤ . ورغم ان حالة الاسالة والتوزيع كانت في هذه الفترة بدائية للغاية(١٩٨) ، الا انها كانت بداية لاعمال عديدة نشطة ، ذات صفة علمية وتقنية حديثة(١٩٩) ؛ وبذلك ينتهي تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة ببغداد ، ليبدأ بعدها تاريخ مشاريع حديثة ، اخذة باسباب التطور والتقدم .

---

(١٩٥) جريدة الزوراء نمرو ١٤٧ ، ٧ ربيع الاول ١٢٨٨ ،

(١٩٦) محمد رؤوف الشيخلي : مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها (البصرة ١٩٧٢) ٩٨/١ومما يذكر ان اجرة الماء الشهرية لكل دار كانت تبلغ عشرة قروش صحيحة ، اي مايعادل ١٠٠ فلس . عبدالكريم العلاف : بغداد القديمة (بغداد ١٩٦٠) ص ٧٥ .

(١٩٧) انظر مانقد عن هذه السقاية .

(١٩٨) كان طول الانابيب الموصلة لمياه الشرب في الايام الاولى لتسلم المشروع سنة ١٩٢٤ ٢٠٫٠٠٠ متر ، وكانت ميزانية المشروع تحوم ارقامها حول مايقارب ١٧٫٠٠٠ دينار اما عدد المشتركين فلم يزد على ٧٠٠٠ مشترك . ولم تكن هناك عملية ترسيب او تصفية ، وكانت الانابيب ترفع غالبا من اماكنها لتنظيف مافي داخلها من الاطيان والرواسب ، ولم تكن هناك مقاييس البتة ، وانما تستوفى الاجور بالتقدير .

(١٩٩) في سنة ١٩٢٥ـ١٩٢٦ ابتدا الاهتمام بالتصفية ، والحق بعد ذلك مركز الكرادة بالمشروع ، وكان بعهدة وزارة الطيران وفي سنة ١٩٢٧ وضع منهج انشاء مركز تصفية جديد لمنطقة الكرخ تضم اليه منطقة الكاظمية ، وقد صدر بالفعل سنة ١٩٢٩ قانون بتشميل اعمال اللجنة على منطقة الكاظمية وكمل المشروع في اواسط ١٩٣٠ . وفي الوقت نفسه كانت اعمال التصفية قد بدات بالتحسن ، واستعملت احواض الترسيب وبدا بتعقيم الماء بالكلورين ، وفي اواخر سنة ١٩٣٠ استقرضت اللجنة اول قرض من البنوك ، وفي سنة ١٩٣١ صدر قانون تاسيس لجنة اسالة الماء لمنطقة بغداد رقم ١٠٤ لسنة ١٩٣١ واصبح للجنة شخصية حكمية ، وزيد عدد اعضائها ، وفي اواسط ١٩٣٤ تم لاول مرة تزويد جهتي الرصافة والكرخ بالماء لمدة ٢٤ ساعة متصلة . وفي ايلول ١٩٣٥ افتتح مركز التصفية في العرافية الذي اعتبر بداية لضخ الماء النقي لجانب الرصافة وكانت مراكز المشروع في هذا التاريخ هي ثلاثة العرافية والشالجية والكرادة وفي اواخر ١٩٣٥ عدل قانون اللجنة بحيث اصبح مرجعها الاعلى وزارة الداخلية وفي اواسط ١٩٣٩ ادمج مشروع الاعظمية باعمال اللجنة وادخلت عليه تحسينات شاملة ومنح صاحب الامتياز تعويضا عن ممتلكاته . وفي حزيران ، ١٩٥٢ اضيف مركز ضخ وتصفية جديد الى مراكز اللجنة هو مركز المسبح وبصدور القانون رقم ٥٤ لسنة ١٩٥٥ اصبح اسم المشروع (مصلحة) ثم زادت اعمال هذه المصلحة وتوسعت بتوسع مدينة بغداد نفسها في الستينات والسبعينات .

دليـــل

خارطة سقايات بغداد في العصر العثماني

١ ـ سقاية جامع الازبك
٢ ـ سقاية مراد باشا
٣ ـ سقاية جامع علي افندي
٤ ـ سقاية البارودية
٥ ـ سقاية سري باشا
٦ ـ سقاية الشيخ عمر السهروردي
٧ ـ سقاية دكان شناوه
٨ ـ سقاية نابي خاتون
٩ ـ سقاية خاتون بنت عبدالله
١٠ـ سقاية جامع النعمانية
١١ـ سقاية كنج عثمان
١٢ـ سقاية جامع السراي
١٣ـ سقاية نازنده خاتون
١٤ـ سقاية جامع الحيدر خانه
١٥ـ سقاية سكينة العباسية
١٦ـ سقاية حاجبة خاتون
١٧ـ سقاية عطية خاتون
١٨ـ سقاية خضربك
١٩ـ سقاية جامع الاسفية
٢٠ـ سقاية عادلة خاتون
٢١ـ سقاية مسجد آل جميل
٢٢ـ سقاية ابي سيفين
٢٣ـ سقاية صبغةالله الحيدري
٢٤ـ سقاية ام الكاظم
٢٥ـ سقاية عبدالرزاق الخضيري
٢٦ـ سقاية الشيخ سراجالدين
٢٧ـ سقاية جامع الحاج فتحي
٢٨ـ سقاية جامع عبدالكريم الجيلي
٢٩ـ سقاية الملا حمادي
٣٠ـ سقاية آل مدلج
٣١ـ سقاية اسماعيل الشطي
٣٢ـ سقاية الشيخ عبدالقادر الكيلاني
٣٣ـ سقاية عاتكة خاتون
٣٤ـ سقاية صالح بن محمد
٣٥ـ سقاية سلمان القادري
٣٦ـ سقاية الغزالي
٣٧ـ سقاية كامل الزند
٣٨ـ سقاية زكريا الخضيري
٣٩ـ سقاية جامع السيف
٤٠ـ سقاية معروف الكرخي
٤١ـ سقاية شوكتبك
٤٢ـ سقاية سيد محمد
٤٣ـ سقاية الست نفيسة

WWW.ATTAWEEL.COM